

سؤالك على شاشة القمر

soalak@zahraun.com

الشيخ عبد الحليم الغزّي**الحلقة الثامنة والعشرون ٢٠١٧/٣/٣٠ م**

● **المقدّم:** بالحسين نبداً وبالحسين نختم، وهذه هي الحلقة ٢٨ من برنامج سؤالك والتهنئة لحفيد الحسين بمناسبة تقديم أجمل التهاني لمشاهدينا ومتابعينا في كل مكان ولادة الإمام الباقر، باقر علوم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه، أسعد الله أيامكم جميعاً مشاهدينا ومتابعينا أينما كنتم، وهذه هي الحلقة ٢٨ لسؤالك على شاشة القمر، نأتيكم بثاً مباشراً من استوديوهات قناة القمر الفضائية، وأيضاً عبر البث الإلكتروني الذي يرد عبر ترددات موقع زهرايون، بالبداية أرحب بسماحة الشيخ وأقدم له نيابةً عنكم أجمل التهاني بهذه المناسبة الطيبة، أسعد الله أيامكم بسماحة الشيخ.

● **الشيخ عبد الحليم الغزّي:** أسعد الله أيامك وأيام محبي أهل البيت في كل مكان.

● **المقدّم:** إذاً فاصل البداية بأمير المؤمنين، وعدلين ميتين يَمُك يا علي، يبدأ الجزء الأول لهذه الحلقة اليوم.

● **الشيخ عبد الحليم الغزّي:**

تحية زهرائية لجميع أختوتي وأخواتي وأبنائي وبناتي ممن يتابعون هذه الحلقة من برنامجنا (سؤالك على شاشة القمر)، إن كانوا يتابعوننا عبر شاشة تلفزيون القمر أو عبر الشبكة العنكبوتية.

أسعد الله أيامكم بمولد باقر العلوم، وأتمنى لكم أياماً وليالي مشبعة بحب آل محمد في هذه الأشهر الشريفة، في شهر رجب وشعبان وفي شهر رمضان.

في هذه الحلقة سيكون حديثي في موضوعين، والموضوعان ليسا من اقتراحي وإنما جواباً على رسائل.

الموضوع الأول الذي أريد أن أتناوله وأن أجيب على ما جاء من سؤال بخصوصه الرسالة التي أشرت إليها والتي وردت من جمع من أبنائي من طلاب كلية الإعلام في بغداد، والذين أرادوا منّي توضيحاً أو تأكيداً أو بياناً أكثر لمطلب تحدثت عنه فيما يرتبط بموضوع الإلحاد، حيث تحدثت في حلقة ماضية من حلقات هذا البرنامج عن موضوع الإلحاد وعن أسبابه ونشأته وما يرتبط بتفاصيل هذا الموضوع، ووصلت إلى نتيجة من أن الإلحاد في الحقيقة مسألة نفسية وما هي بمسألة علمية، هذه النتيجة لست أنا الذي اكتشفتها ولست الوحيد الذي تحدثت عنها، لقد تحدث علماء الغرب عن هذا الموضوع وألقوا فيها، ألقوا في هذا الموضوع، ربّما في حديثي أضفت إضافات أو تحدثت عن جهات ترتبط بثقافتنا المستقلة من منهج الكتاب والعترة، ربّما كانت هناك إضافات جديدة من هذا الجانب، وإلا فهذه الفكرة أو هذه النتيجة تحدثت عنها من تحدثت ممن كتبوا في هذا الموضوع.

السؤال ما هو؟ أو الطلب ما هو؟ بما أن الحديث كان أن الإلحاد في الحقيقة مسألة نفسية، إرتداد نفسي وما هي بحقيقة علمية، أبنائي من طلبة كلية الإعلام يريدون توضيحاً أكثر، تفصيلاً أكثر، قطعاً في برنامج تلفزيوني محدود وإن كان برنامجنا طويلاً ولكن يبقى محدوداً فهو برنامج تلفزيوني لن أستطيع أن أسهب كثيراً وكثيراً في هذا الموضوع، لكنني سأجيب، سأحدث، صحيح الآن هكذا يقال: صار الإلحاد علماً في زماننا هذا، وفي الحقيقة ما هو بعلم، ولكن يقولون صار الإلحاد علماً، وكثير المنظرون والعلماء الذين يؤلفون ويكتبون في هذا الحقل.

القول "إن الإلحاد علم" بهرجة في القول، صحيح هناك الكثير والكثير من الكتب والدراسات ويمكن لأي شخص أن يدخل إلى المواقع الكثيرة التي تدور مضامينها في أجواء الإلحاد على الشبكة العنكبوتية، يمكنه أن يقرأ الكثير والكثير من الأسماء، من أسماء الأشخاص أو من أسماء الكتب، والكثير من الأدلة التي يقولون عنها أدلة، وبالنتيجة صار هناك كلام عن علمية الإلحاد، وأن الإلحاد علم، وأن ما ذهب إليه الملحدون فقد ذهبوا إلى حقيقة علمية أو إلى نتائج علمية، إذا أردنا أن نُمزّق أستار هذا الموضوع فإننا لا نجد علماً وإنما نجد آثاراً نفسية لمقدمات وأسباب أشرت إليها في كلامي المتقدم في الحلقات السابقة، غفوها، غلفت هذه الحالة النفسية غلفت بمطالب علمية، ومطالب علمية دقيقة، ومطالب علمية عميقة، فقد تطوّر العلم في زماننا هذا ووصل إلى أبعاد بعيدة، لا أريد أن أسهب كثيراً في هذه الجهة، ولكنني ألفت نظر الذين سألوا إلى قضية مهمة:

القضية المهمة التي أريد أن ألفت النظر إليها: أساليب الفكر الإنساني، فلنأتي ونقيم الطريقة التي يتحدث بها الملحدون هل هي علمية فعلاً أو لا؟ منذُ بداية الفلسفة اليونانية وهي الفلسفة الأهم التي تركت أثراً بالغاً في الحضارة الإنسانية، فمنذُ سطوع نجم الفلسفة اليونانية تولدت مسالك واضحة للفكر البشري، وهذه المسالك استلها هؤلاء الفلاسفة اليونانيون من الطبيعة البشرية، لم يبتدعوها هم، وإنما من خلال فكرهم ومن خلال نظرهم العميق فيما حولهم توصّلوا إلى أساليب في البحث والدرس والفكر والتعلم.

هناك الأسلوب السقراطي: والذي جاء به سقراط وهو أستاذ جميع فلاسفة اليونان، هو الأستاذ الأكبر، ما هو أسلوب سقراط في الوصول إلى النتائج العلمية؟ سقراط أسلوبه هكذا: حينما يأتي متناولاً لموضوع من الموضوعات يُثير عليه الأسئلة، وليس بالضرورة أن يُحصّل جواباً على كلّ سؤال، هناك موضوع معيّن، كيف يتناول سقراط هذا الموضوع؟ يُثير حوله الأسئلة من جميع الجهات، من خلال إثارة الأسئلة حول هذا الموضوع تتولّد نتائج، في بعض الأحيان هذه النتائج قد تكون علمية، وفي بعض الأحيان هذه النتائج قد تكون نفسية، هو انعكاسٌ نفسيٌّ للأسئلة المثارة حول هذا الموضوع، ليس بالضرورة أنّه سيصل إلى نتيجة علمية، يمكن أن نجد عذراً لسقراط بما أنّه يتناول موضوعات فلسفية، والموضوعات الفلسفية فيها جنبه وجدانية وجنبه نفسية، فحينما يُثير أسئلة حولها فيصل إلى نتيجة وجدانية أو نفسية، فقد تكون هذه النتيجة صحيحة باعتبار أنّ الموضوع أساساً ما هو موضوع كيميائي مثلاً أو بيولوجي، هو موضوع فلسفي، والموضوع الفلسفي يرتبطُ بجهةٍ وأخرى بالوجدان وبالتأثر النفسي، بالحالات النفسية للإنسان، على أيّ حال، أنا هنا لا أريد أن أُحلّل منهج سقراط وإنما أُلقي نظرة سريعة على مناهج التفكير البشري وهي إلى اليوم موجودة، هذا الأسلوب السقراطي، الأسلوب السقراطي هو إثارة الأسئلة، يُثير الأسئلة حول الموضوع وليس بالضرورة أن ينال جواباً، قد ينال جواباً على بعض الأسئلة وقد لا ينال جواباً، ولكن من مجموع التساؤلات تخرج النتائج بعد ذلك حتّى لو كانت نتائج مجمّلة.

هذا الأسلوب تتطوّر بعد ذلك إلى الأسلوب الأفلاطوني: وأفلاطون هو تلميذ سقراط، الأسلوب الأفلاطوني أخذ هذه الطريقة وطوّرها إلى حوار، لذلك أكثر كتب أفلاطون عبارة عن كتب حوارية، بمثابة حوارات، قد يتحاور مع نفسه، وقد يتحاور مع غيره، مع غيره الحقيقي أو مع غيره المفترض، بالنتيجة هناك حوار، الحوار هو أيضاً إثارة تساؤلات ولكن تأتي عليها إجابات، ثمّ يدور النقاش حول هذه الإجابات، هذا أسلوبٌ ثانٍ.

هناك أسلوبٌ ثالث: وهو الأسلوب الأرسطي، نسبةً إلى أرسطو، الأرسطي، الأرسطوي، الأسلوب الأرسطي هو الشائع الآن خصوصاً في المؤسسات الدينية وبالذات المؤسسة الدينية المسيحية والمؤسسة الدينية الإسلامية، على حدٍ سواء في الأجواء السنيّة وفي الأجواء الشيعيّة، والمنهج الأرسطي في الأجواء الشيعيّة ربّما ملامحه أوضح بكثير من ملامح المنهج الأرسطي في المدرسة السنيّة، المنهج الأرسطي يبدأ من تصنيف الفكرة، من تصنيف الموضوع، هذا الأمر المبهم أو المجهول لابدّ من تصنيفه، فحينما يُصنّف يمكننا أن نجد له تعريفاً، حتّى لو كان تعريفاً إجمالياً، لابدّ من تشخيصه حتّى بعد ذلك نحاول أن ننشئ مجموعة من الإثارات، ما تُسمّى بـ (القضايا) بالمصطلح المنطقي حول هذا الموضوع، ثمّ تطوّرت المسألة إلى أشكالٍ أخرى من الاستنتاج والاستدلال، فقد يكون ما يُسمّى بالاستقراء قطعاً استقراء ناقص أو ما يُسمّى بالقياس وأمثال ذلك، هذا هو المنهج الأرسطي، يقولون: نحن نبدأ من الدلالة التصوريّة، نتصوّر الأمر، كيف نتصوّره؟ نتصوّره من خلال تصنيفه، نقول هذه القضية من الصنف الفلاني، بعد أن صنّفناها نعرّفها، بعد أن نعرّف الأمر نثير مجموعة من القضايا، هذه القضايا تنتقلُ بها إلى مرحلة الاستدلال حول وجود هذا الشيء أو حول صحّة الأحكام الّتي حكمنا بها على ذلك الشيء، فقد نصل من طريقة الاستقراء، وقد نصل من طريقة الاستقراء؛ يعني من طريقة دراسة الأفراد المشابهة لهذا الفرد الّذي نحن نتحدّثُ عنه أو لهذه المعلومة أو من طريقة القياس من خلال مقدّماتٍ، هذه المقدّمات يقوّد بعضها في التفاعل مع البعض الآخر إلى نتائج، وبالتالي إذا وصلنا إلى النتائج حصلنا على جواب ما نريد، تقريباً هي هذه الطريقة الآن الشائعة والموجودة في البحوث العلميّة الدينيّة، في المؤسسة المسيحيّة أو في مؤسّستنا الدينيّة الشيعيّة على سبيل المثال.

أمّا العلوم الأكاديميّة المعاصرة فهي لا تستعمل لا أسلوب سقراط ولا أسلوب أفلاطون، ولا حتّى أسلوب أرسطو، ربّما في جانبٍ منها، ربّما في جانبٍ منها فيما يرتبطُ بالاستقراء الناقص قد تلتقي مع المنهج الأرسطي في جهةٍ من جهات بحثها، العلوم المعاصرة تبني المنطق الرياضي، العلوم المعاصرة مثل: (الكيمياء، الفيزياء، الطبّ)، وسائر التفرّعات العلميّة الأخرى في بحثها العلميّ تعتمد على أمرين:

- إمّا على التجربة،

- وإمّا على الملاحظة والمشاهدة عن قرب.

فالحقائق العلميّة قد يتمكّن العالمُ الفيزيائي أو الكيميائي أو الطبيب أن يستحضرها إلى المختبر ويجري عليها التجارب مثل الكثير من التجارب الموجودة في المختبرات، وهناك ظواهر لا يمكن أن نحضرها إلى

المختبر، حينما نريد أن ندرس البراكين مثلاً، هذه البراكين لا يمكن أن نحضرها إلى المختبر، حينما نريد أن ندرس البحار وأن ندرس ظاهرة المدّ والجزر مثلاً، فالبحار فيها الكثير من الحقائق العلميّة الغامضة، حينما نريد أن ندرس البحار لابدّ أن نذهب إلى البحار، أن نعيش قريباً من البحار، أن نكون على ملاسمة وملامسة مع البحار، فما يمكن أن نحضره إلى المختبر نُجري عليه التجارب، وما لا يمكن أن نحضره يجب أن نذهب قريباً منه على أساس الملاحظة والملاحظة، التجارب تُكتب وتُضبط، والملاحظات والملاحظات تكتب وتضبط، كلما تكرّرت التجربة وأعطت نفس النتيجة رياضياً، بحسب المنطق الرياضي، هذا يعني أننا نقترّب شيئاً فشيئاً من الحقيقة، ولذا مثلاً الأدوية كيف يجربونها؟ تُعطى لعدد من المرضى، شركات الأدوية في الغرب حينما تصنع دواءً جديداً لا تجربّه في الغرب، تجربّه في بلداننا، ولذلك مثلاً عندنا أدوية في بلداننا ليست موجودة هنا، وربما تكون نافعة أكثر، لماذا؟ لأنّها في طور التجربة، فيجربون فينا هناك لمدة عشرين سنة، ثلاثين سنة، إذا وجدوا النتائج جيّدة يُسحب الدواء من هناك وينتج في البلاد الغربيّة باسم جديد، لأنّه عادةً الأدوية لا تكتب على الأغلفة الأسماء العلميّة، وإنّما أسماء تجاريّة، أسماء الشركات، قد تكون الأسماء العلميّة موجودة في الليفلت، من الذي يقرأ الليفلت؟! ومن الذي يعرف الأسماء العلميّة للأدوية المعقّدة؟! وفي الغالب تكون باللغة اللاتينيّة، من الذي يعرفها؟! فتُسحب من هناك بتكرار التجربة حينما تتكرّر التجربة كلما نجح الدواء وظهرت آثار جيّدة والآثار السيّئة قليلة بتكرار التجربة بحسب المنطق الرياضي هذا يعني أننا نقترّب من النتيجة العلميّة الصحيحة، فحينئذٍ بتكرار التجربة أو بتكرار المشاهدة والملاحظة لظاهرة من الظواهر الكونيّة على أساس المنطق الرياضي تثبت هذه الحقائق.

حينما نأتي إلى أجواء الإلحاد، وأنا أسأل أبنائي الذين سألوا، حتماً يتابعون هذا الموضوع، مثلاً على الإنترنت ماذا يجدون في مواقع الملحدّين؟ أيّ أسلوب من الأساليب من هذه المناهج الّتي ذكرتها؟ سيجدون الأسلوب السقراطي، الملاحظة فقط يثيرون إشكالات وتساؤلات، ولكنّهم يصوّفونها في قالبٍ علميٍّ، فيُخيّل للمتلقّي الذي لا يملك دقّة في هذه المطالب خصوصاً فيما يرتبط بالجدل والمنطق والفلسفة، الذي لا يملك دقّة في ذلك يتصوّر أنّ القضية قضية علميّة، بينما غاية ما عند الملاحظة في كتبهم وفي دراساتهم هو مجرد حشد من الإثارات والأسئلة.

بعبارة موجزة: وسأتي إلى هذه النقطة، الملاحظة من حقّهم أن يقولوا إنّهم لا يملكون دليلاً على الإله، ولكنّهم أيضاً لا يملكون دليلاً على عدم وجوده، من حقّهم أن يقولوا إنّنا لا نملك دليلاً على وجود الإله، باعتبار أنّهم يريدون إلهاً يتحمّسون، يلمسون، من حقّهم أن يقولوا ذلك باعتبار أنّهم وضعوا لهم منطقاً خاصاً بهم، فمن حقّهم أن يقولوا إنّنا لا نملك دليلاً على وجوده، لكنني أقول لهم: إنّكم أيضاً لا تملكون

دليلاً على عدم وجوده، ما الدليل على عدم وجوده؟ لا يوجد دليل عندهم، إذاً القضية بالنسبة لهم ثابتة بنسبة ٥٠%، فلا تُسمى هذه القضية قضية علمية، فضلاً عن أن الأسباب التي دعتهم إلى هذه النتيجة لو بحثنا عنها سنجد أن جذورها نفسية وليست علمية.

أعود إلى أسلوب الملاحظة: في كتبهم، في دراساتهم، في محاضراتهم، هم يطرحون أسئلة، نفس الأسلوب السقراطي، في الوقت نفسه يتحدثون عن علمية الموضوع، إذا كنتم أيها الملحدون تتحدثون عن علمية الموضوع، لماذا لا تستعملون أسلوب المنطق الرياضي في مناقشة المسألة؟! ما هي العلوم تستعمل أسلوب المنطق الرياضي، فلماذا لا تستعملون أسلوب المنطق الرياضي؟! لماذا تعودون إلى الأسلوب السقراطي أقدم أساليب البحث الفكري الإنساني؟! إثارات أسئلة، وأنا أيضاً سأستعمل معهم نفس الأسلوب السقراطي، سأثير عليهم أسئلة، ما هم يثيرون علينا أسئلة، نحن سنثير عليهم أسئلة، مثلما هم يثيرون أسئلة نحن سنثير عليهم أسئلة، الأسلوب السقراطي لا تكون نتائجه علمية بحته، نتائجه وجدانية، نتائجه نفسية، لأنها مجرد إثارات حول المسألة، لذا أنا كتبت مجموعة من الأسئلة، مثلما هم يثيرون علينا أسئلة فنحن نثير عليهم أسئلة أيضاً، عليهم أن يجيبوا على أسئلتنا أو على الأقل أن ينظروا إليها بعين الإنصاف حتى لو لم يستخرجوا لها أجوبة علمية، ما هي الآثار والارتدادات النفسية لهذه الأسئلة؟ قبل أن نتناول الأسئلة لا بأس أن نذهب إلى فاصل ..

السؤال الأول الذي يمكن أن يُثار: علماء الفيزياء، الكيمياء، علماء الطب، وسائر العلوم الأخرى، العلوم المختبرية، العلوم الأكاديمية، عموماً يعتمدون المنطق الرياضي وثبت علمياً وعملياً أن هذا المنهج منهج صحيح، والدليل: هذا التطور الهائل الذي نعيش فيه، كل شيء الآن من حولنا: هذه الكاميرات، الأجهزة الصوتية، هذه الإضاءة، هذه التلفزيونات، أجهزة الإرسال، أجهزة البث، الأقمار الصناعية وكل شيء، كل شيء من حولنا في هذه الحياة ما صنعه الإنسان هو نتاج لهذه العلوم، وهذه العلوم اعتمدت أسلوباً ومنطقاً، كل هذا يشير إلى صحة منطقها، فلماذا لا يستعمل الملحدون إذا كانوا يتحدثون عن علمية الإلحاد نفس هذا الأسلوب في بحثهم عن وجود الإله أو عن عدم وجوده؟! لماذا؟! إذا كانت القضية قضية علمية، على سبيل المثال: حين توصل العلم إلى أن الماء ينجم مثلاً حينما تنخفض درجة حرارته مثلاً إلى الصفر أو تحت الصفر فيتحوّل إلى ثلج، هذه القضية بالتكرار ثبتت، كلما لاحظ العالم هذه الظاهرة: الماء تنخفض درجته إلى الصفر أو تحت الصفر فينجمد، مرةً، مرتان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، إلى عددٍ

صارت حالته النفسية مُقْتَنَعَةً تماماً، هناك قناعة كاملة من أن هذه الظاهرة حقيقية، ويمكن أن تنطبق في جميع الأحوال، في جميع الأحوال التي لوحِظَتْ فيها هذه الظاهرة أو هذه التجربة، فهذا الماء السائل ودرجة الحرارة في الوضع الطبيعي للحياة على الكرة الأرضية إذا ما انخفضت إلى الصفر أو ما تحت الصفر فإن هذا الماء يتجمد، هذا هو المنطق أن الظاهرة تكرر في نفس الظروف والخصائص والمواصفات، حتى تصل إلى حدٍّ من التكرار بحيث أن الإنسان يمتلئ قناعةً من أن هذا الأمر حقيقة ثابتة، ومتى ما توفرت نفس هذه الخصوصيات سيتحقق نفس هذا الأمر، الإيمان بهذه الفكرة: (من أن القضية لو تكررت إلى حدٍّ معين واقتنعت النفس بها) هي قضية غيبية، لأن الحالات الأخرى وهي أكثر من حالات التجربة، الإنسان لا جرّبها وأصلاً مرّت في الأجيال السابقة، فكيف حكم العلم بأن هذا السائل إذا ما انخفضت درجة حرارته إلى الصفر أو تحت الصفر سينجمد، وهذا الحكم يطلقه العلم حتى على الماضي، يعني المياه في العصور السابقة أيضاً هذه حالتها، والمياه التي لم تأت بعد، في العصور القادمة، والمياه التي هي الآن موجودة في كل مكان من الأرض ولم يصل الإنسان إليها، هذا الحكم أليس حكماً غيبياً؟ فلماذا صدّق به العلم؟ ولماذا صدّق به الملحدون؟ هناك تصديق في جهة غيبية، الآن الملحد يُصدّق في جهة غيبية.

أنا لا أريد أن أثبت شيئاً هنا، فقط أريد أن أقول: إذا الملحد يتفق معي من أن جهة ليست ملحوظة وليست مُشاهدة جعلتني أو من بهذه الحقيقة، التجربة تكررت أمامي، لنفترض إلى ألف مرّة، ولكن كم من الحالات موجودة على وجه الأرض حيث يتوفّر الماء وتنخفض درجة الحرارة إلى الصفر ودون الصفر أنا لا شاهدتها ولا جرّبتها ولا وصلت إليها ومع ذلك حكمتُ عليها، لماذا؟ لأن المنطق الرياضي قال لي من أنك كرّرت هذه التجربة إلى حدٍّ تستطيع أن تحكم على أساسها، الإيمان بهذه الفكرة هو إيمان بمسألة غيبية، إن لم تكن كل المسألة غيبية، قطعاً في جانب منها غيبية، العلوم كلّها ثبتت بهذه الطريقة.

عالم البراكين هل اقترب من كل البراكين في العصور السابقة؟! أو هل اقترب من كل البراكين في زماننا هذا؟! حينما يأتي ويدرس البركان: واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، عشرة، عشرين، ويصل إلى نتائج علمية، وفعلاً نتائج علمية صحيحة، جانب من هذا الموضوع صحيح محسوس، ولكن هناك جانب غيبى أيضاً، إذا الملحد اتفق معي من أن يوجد هناك جانب غيبى، أنا فقط أريد منه أن يعترف بهذه الحقيقة، هذه حقيقة موجودة.

فهنا سؤالان يوجّهان للملحد:

السؤال الأول: لماذا لا تستعمل هذا الأسلوب المنطقي العلمي في بحثك عن الإله؟ فحينما آتي إلى هذا الجبل، إلى هذه الشجرة، إلى هذا الإنسان، إلى هذا الحيوان، إلى هذه الشمس، إلى هذا القمر، إلى هذه النجوم، هذه الأشياء كُلُّ شيءٍ من حيث هو متكامل، السؤال هنا: هل يمكن أن يوجد من دون موجدٍ له؟ يمكن، ولكن المنطق يقول أيضاً يمكن أن يكون له موجد، وإلا من أين جاء بهذه المواصفات؟! إذا ذهبنا نُكرّر نفس الأسئلة على بقية الموجودات، فحينما نجد هذا الموجود (أ) موجود متكامل، مظاهرُ الجمال والإبداع ظاهرة فيه، إذا ما دخلنا إلى حديقة مليئة بالزهور، هذه الأوراد الجميلة، مَنْ الذي صنع هذه الوردة الحمراء؟ مَنْ الذي صنع هذه الوردة البنفسجية؟ مَنْ الذي أعطى وردة الجوري هذه الرائحة الطيبة؟ مَنْ الذي جاء بهذه الوردة ذات اللون البرتقالي التي حُطِّطَ باللون الأسود من داخلها ومن خارجها باللون الأبيض وأوراقها خضراء لكنّها تميل إلى الزرقة؟ مَنْ الذي صنع هذا؟

الملحد يقول: (يمكن أن تكون وجدت من دون موجد)، يمكن، ولكن يمكن أن يكون لها موجد، هذه القضية حين تتكرّر وضمن نظام واحد ولا يوجد تضارب فيما بين القوانين التي تحكم هذا النظام، هذا الوجود، ألا يدلّ على أن موجداً قد أوجدها بهذا الشكل النظامي نتيجة لنفس الطريقة التي تُحسب بها النتائج العلمية بحسب المنطق الرياضي؟

فأنا أقول للملحد: لماذا أنت إذا كنت مدّعياً للمنطق العلمي لماذا لا تطبّق هذا المنطق العلمي على هذه الأشياء؟ مثلما هذا الذي يدرس البراكين، وذاك الذي يدرس الزلازل، وهذا الذي يدرس البحار، يلاحظ ويشاهد هذه الظواهر ويبدأ بدراسة طبيعتها وحالاتها وقوانينها ويصل إلى نتائج علمية، فيعرف أن البراكين تحكمها منظومة واحدة ويتحدّث في علم البراكين، وأن هناك من أسباب موجودة في القشرة الأرضية في باطن الأرض، في النواة الأرضية ترتبط بكلّ هذا الذي يجري في ظاهرة البراكين ويصل إلى نتائج، فلماذا الملحد لا يأتي ويدرس بنفس الطريقة هذه الموجودات ومَنْ الذي أوجدها؟! ويبدأ بحسب هل يمكن لهذا المخلوق البشري بهذا النظام المتكامل في جهازه العظمي، في جهازه الدموي، في جهازه العضلي، في كُلّ الأجهزة الموجودة، هل يمكن أن يكون هذا من دون موجد؟! وهكذا الحيوان، وهكذا النبات، وهكذا النجوم، هل يمكن ذلك؟!!!

بحسب الملحد يمكن، ولكن أيضاً يمكن أن يكون لها موجد، لماذا كُلّ هذه الموجودات منظّمة؟ إذا كانت القضية تنشأ من دون موجد لماذا تكون منظّمة؟ لماذا لا تكون أشياء كثيرة غير منظّمة؟ إذا كانت القضية هكذا نشأت من دون موجد، فأشياء وجدت بشكل نظامي، لا بدّ أن توجد أشياء بشكل غير نظامي،

لماذا هناك قوانين واحدة تحكم حركة الأفلاك إذا كانت من دون موجد؟ ونفترض هكذا صدفةً وجدت كائنات منظّمة، لأبْد أن توجد كائنات غير منظّمة، لأبْد أن توجد قوانين في مكان ويوجد مكان ليس فيه قوانين، لماذا القوانين موحّدة؟ أصلاً إذا لم تكن هناك قوانين موحّدة لماذا يبحث العلماء عن قوانين؟ أصلاً العلوم قائمة على أساس أنّه توجد قوانين، توجد روابط، توجد علاقات، إذا كانت الأشياء من دون قوانين فماذا يدرس العلماء؟ ستكون كلّ قضية لها قانونها الخاصّ بها.

ما هم العلماء حتّى الملحدون منهم في فطرهم يُقرّون بوجود قوانين موحّدة، لذلك يدرسون، لو أنّهم يعتقدون بعدم وجود نظام ينظّم هذه الموجودات، ما الفائدة من دراستهم إذاً ومن بحثهم العلمي؟! لأنّهم لن يصلوا إلى نتيجة موحّدة، وبالتالي النتائج العلميّة التي سيصلون إليها إذا ما وصلوا ستكون كلّ نتيجة خاصّة بحالة واحدة لعدم وجود نظام موحّد، لماذا لا يدرس الملحد هذه القضايا بنفس المنطق الرياضي الذي يدرس به الفيزيائي والكيميائي والطبيب والصيّدلي و...؟! إذا كان الإلحاد علماً لماذا لا تُدرّس الأشياء بنفس هذا المنطق؟! سؤال لا أريد له جواباً.

ولكن سؤال آخر أيضاً: النتيجة التي بنى عليها علماء الطبّ بسبب دراستهم لمرضٍ من الأمراض أو لعلاجٍ من العلاجات لعدّة مرّات وخرجوا بهذه النتيجة، هذا العلاج علاج ناجح، هم لم يجربوا العلاج على كلّ حالة، هناك حالات ستأتي في المستقبل، كيف آمنوا إنّ هذا العلاج علاج ناجح لجميع هذه الحالات المرضيّة الموجودة التي رأوها والتي ما رأوها والتي ستكون في المستقبل؟ هناك جنبه غيبيّة، الإيمان بهذه القضية إيمان في جنبه غيبيّة في جزء من هذه النتيجة التي وصلوا إليها.

السؤال الثالث: إذا قلنا بوجود جنبه غيبيّة، السؤال: من أين أتت هذه الجنبه الغيبيّة؟ السؤال الثالث أنا أشرتُ إليه قبل قليل؛ إذا كان الملحد لا يملك دليلاً على وجود الإله، فإنّه لا يملك دليلاً على عدم وجوده.

إنّي أقول للملحد: من حقّك أن تقول إنّي لا أملك دليلاً على وجود الإله، لكنّك لا تستطيع أن تقول إنّك تملك دليلاً على عدم وجوده، فصارت القضية منصفة، الملحد المنصف يقبل هذا الكلام، لو أردنا أن نبحت عن جذر قبوله لهذا الكلام فهو يعود بنا إلى بديهية تقول: (عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود)، ولا أعتقد أنّ ملحداً لا يؤمن بهذه البديهية إلّا إذا أراد أن يكون معانداً، ونحن هنا لا نتحدّث عن ملحدٍ مُعاند، المعاند لا فائدة في النقاش معه، لا أعتقد أنّ ملحداً يرفض هذه البديهية، لأنّ الملاحظة

يعيشون معنا على هذه الأرض، ويتعاملون بهذه القاعدة في حياتهم، الجميع يتعاملون بهذه القاعدة، سواءً كانوا سمعوا بها أو لا، (عدم الوجدان لا يدلُّ على عدم الوجود).

أنا أقول: كيف آمن الملحد بهذه القاعدة؟ الآن أيّ ملحد حتّى لو لم يكن قد عاش تجربةً عمليّةً تتضمّن هذا المطلب، لو قلنا له: (عدم الوجدان لا يدلُّ على عدم الوجود)، يعني نحن إذا ما عثرنا على شيء لا يعني أنّ الشيء ليس موجوداً، يقبلها الملحد، كيف آمن بها؟ الإيمان بهذه القضية فيه جنبهٌ غيبيّ، حين أقول: (عدم الوجدان لا يدلُّ على عدم الوجود)، فهو هنا لم ينكر وجود الشيء الذي لم يجده، على أيّ أساس قبل بهذه البديهية أو بهذه القاعدة؟ كيف قبل بها؟ هذه القضية ليست حسّية، هذه القضية فيها بعدٌ غيبيّ، كيف آمن بها؟ من أين جاء هذا الغيب؟ هذا سؤال رابع.

أنا قلت هو نفس الأسلوب السقراطي؛ إثارة أسئلة ليس بالضرورة أن أجيب عنها أو أن يجيب هو عنها.

السؤال الخامس: الحضارة الغربيّة صنعت لنا المعجزات، هذه المعجزات التي نعيش فيها أين كانت الحياة قبل خمسمئة سنة مثلاً وأين صارت الحياة الآن؟ الحضارة الغربيّة صنعت لنا المعجزات، وحين نتحدّث عن الحضارة الغربيّة إنّنا نتحدّث عن الولايات المتّحدة الأمريكيّة، نتحدّث عن أوروبا، وعن الدول التي سارت في نفس هذا المنهج، كندا وحتّى اليابان فهي تلتحق بهذا الركب واستراليا والدول الأخرى التي التحقت بهذا الركب العلمي، فالحضارة الغربيّة صنعت لنا المعجزات في الحياة الدنيويّة، هذه المعجزات التي صنعتها الحضارة الغربيّة من أين جاءت؟ جاءت من الإبداع الإنساني، هناك إبداعٌ عند الإنسان.

السؤال: هذا الإبداع من أين جاء به الإنسان؟

إذا قلت: إنّ الإنسان هكذا جاء من دون إله، من دون خالق، مثلما يتصوّر من يتصوّر، هناك ما يُسمّى بهذا الحِسَاء الكوني من البلازما، وهكذا بحركةٍ اعتباطيّةٍ عفويّةٍ نشأت الحياة من هذا الحِسَاء، ولنفترض هكذا وخلق الإنسان هكذا، هذا الإبداع الموجود عند الإنسان الذي صنع به المعجزات من أين جاء؟ ما هو هذا الإبداع فيه جنبهٌ غيبيّ، الإبداع ما هو شيءٌ حسّيّ، فيه جنبهٌ معنويّ، والجنبه المعنويّ هذه جنبهٌ غيبيّ، هل يستطيع الملحد المنصف ليس المعاند أن يُنكر أنّ الإبداع فيه جنبهٌ غيبيّ؟ فيه جنبهٌ معنويّ؟ من أين جاء هذا؟ الإنسان جاء من هذا الحِسَاء الكوني الذي نشأ هكذا بالصدفة، قبلنا بهذا، ولكن هذا الإبداع الموجود عند الإنسان من أين جاء؟ هل هنا من غيبٍ أيضاً؟ أوجده هذا الحِسَاء الكوني المادّي؟ أعتقد أنّ الملحد المنصف إذا ما أطال النظر لن يستطيع أن ينكر من أنّ الإبداع الإنساني لا بدّ أن يكون له أصل، من أين جاء؟ إذا آمن من أنّ الإبداع له أصل، الإيمان بهذه القضية هو إيمانٌ بشيءٍ غيبيّ، فمن أين

جاء هذا الغيب الذي جعلنا نؤمن بهذه النتيجة من أن الإبداع له أصل؟ لابد أن يكون له أصل، لابد أن يكون له منبع، لأن هذا الإبداع هو الذي أوجد هذا الإعجاز الحضاري الآن، هذا الأعجاز الحضاري لم يأت من فراغ، جاء من إبداع إنساني، هذا الإبداع الإنساني من أين جاء؟

السؤال السابع: العلوم التي يتحدث عنها الملحدون، هل يستطيع أحد منهم أن يقول من أن هذه العلوم وصلت إلى النهايات؟ فإذا كانت العلوم ما وصلت إلى النهايات، إذاً المعطيات ليست نهائية، فكيف يُبنى على معطيات ليست نهائية ونستخرج منها نتائج نهائية؟! إستناداً إلى المعلومات التي وصل إليها الإنسان في بحثه العلمي، في الطب مثلاً، في البيولوجي، في علم الجينوم، في النانو تكنولوجي، في هندسة الفضاء، في الكوانتاتك فيزيك، في سائر العلوم الأخرى، إستناداً إلى هذه العلوم يأتي الملحدون ويجمعون النتائج العلمية ويحاولون أن يثبتوا إلحادهم، ما هي هذه النتائج ناقصة ليست كاملة، النتائج العلمية والحقائق العلمية ليست كاملة، فكيف يمكن أن يُبنى على حقائق علمية ليست كاملة؟! أن يُبنى عليها عقيدة كاملة أو فكرة كاملة؟! لا يمكن ذلك، خصوصاً حينما نريد أن نتحدث عن الإلحاد، فإن الحديث عن الإلحاد لابد أن يكون متوجّهاً للحديث عن قصّة الكون، عن نشأة الكون، عن نشأة هذه المادّة، ما هي هذه المادّة؟ وهذا يقودنا للكيمياء، للفيزياء، وبالذات للفيزياء، يقودنا للفيزياء، النظريات العلمية الحديثة الآن الموجودة وإن تحقّق من تطبيقاتها العملية تحقّقت المعجزات من هذه النظريات العلمية، لكن العلماء أنفسهم، نفس العلماء المتخصّصين بهذه العلوم هم يقولون: هذه النظريات ناقصة، المتخصّصون في الفيزياء يعرفون أعظم نظريتين في تاريخ الفيزياء وبسببهما تغيّر وجه الحياة على الأرض؛

- النظرية النسبية لاينشتاين،

- وميكانيكا الكم،

هاتان النظريتان هما أعظم النظريات في تاريخ الفيزياء، وكلّ ما نراه من حولنا فهو من التطبيقات العلمية والعملية لهاتين النظريتين، ومع ذلك هناك انفصام حادّ يعرفه العلماء، أنا لست متخصّصاً في هذه العلوم ولا البرنامج للبحث في هذه المطالب، ولكن هناك انفصام حادّ بين هاتين النظريتين، فالنظرية النسبية لاينشتاين تُفسّر لنا الكون، والنظرية المعروفة بميكانيكا الكم تُفسّر لنا هذه المادّة، تُفسّر لنا الكون من الداخل، المفروض أن النظريتين ستتفقان، النظريتان لا تتفقان، هناك انفصام حادّ بين نسبية اينشتاين وبين ميكانيكا الكم، مع أن ميكانيكا الكم لها تطبيقات علمية وعملية موجودة، ونسبية اينشتاين لها تطبيقات علمية وعملية موجودة، لماذا؟ لأن العلم ما وصل إلى النهايات، فنظرية اينشتاين فيها جهة دقيقة وصحيحة

وفيها جهات ليست دقيقة، وميكانيكا الكم كذلك، اينشتاين يتحدث عن النجوم والفضاء وعن الكون الواسع الفسيح، وميكانيكا الكم تأتي تحاول أن تُحلل المادة فتدخل إلى الجزئيات وإلى الذرات وإلى داخل الذرة، وتذهب إلى دراسة الإلكترون والبروتون والنوترون داخل النواة.

ولكن هناك مشكلة كبيرة تواجه هاتين النظريتين:

فنسيية اينشتاين تهتم كثيراً بالقوة الجاذبة، بالجاذبية، بهذا المغناطيس الكوني وإنما تنتظم حركة الأفلاك بهذه القوة الجاذبة والطاردة، وكل هذا ينتهي إلى قوة الجذب الموجودة في هذا الوجود، القوة الجاذبة. بينما ميكانيكا الكم تتناول في دراستها القوة الكهرومغناطيسية، القوة النووية.

ويوجد هناك خلل كبير في البحث عن جهة تكون سبباً في وحدة نظام هذه القوى، لا النظرية النسبية تُفسر ذلك، ولا ميكانيكا الكم تفسر ذلك، لذلك جاءت هذه النظرية التي سُميت بنظرية الأوتار الفائقة، وحتى هذه النظرية يوجد فيها خلل وتعددت نظريات الأوتار الفائقة إلى أن وصلنا إلى النظرية الأخيرة: (M-theory)، ومع ذلك لم يصل العلماء إلى تفسير كامل يستطيعون أن يقطعوا أنهم وصلوا إلى النهاية، مع أن اعتقاداً الآن بدأ يسود في أوساط الفيزيائيين: لربما تكون الأساطير الدينية صحيحة في تفسير الكم، بدأ هذا الاعتقاد خصوصاً بعد التجارب التي حدثت في هذا المعجل الفيزيائي الكبير في سويسرا على الحدود ما بين فرنسا وسويسرا في جنيف، هناك تحت الأرض مختبر على الحدود الفرنسية السويسرية فيه جهاز هو أكبر جهاز في العالم، أندري كم طوله؟ هذا الجهاز طوله ٢٧ كيلو متر، جهاز واحد، معجل فيزيائي، قصته طويلة ليس الحديث الآن، ولكن الأبحاث الحديثة جعلت بعض الفيزيائيين يقولون، لربما يُسمونها الأساطير الدينية، ما هي بأساطير دينية، قد تكون حقائق دينية، هم قطعاً يتحدثون عن كتبهم الدينية، عن الديانة المسيحية، والتفسير الديني في الديانة المسيحية للكون، فبدأوا يقولون: ربما بعض ما جاء في الأساطير الدينية قد يكون صحيحاً، ليس حديثي عن هذا المطلب، وهذا الكلام قد يكون مردوداً ومناقشاً.

أعود إلى كلامي، إنما أوردت هذه المطالب لكي أثبت أن العلوم ما وصلت إلى النهايات، فإذا كانت العلوم ما وصلت إلى النهايات كيف نستطيع أن نعتمد على نتائج ليست نهائية على إعطاء حكم نهائي في قضية كبيرة مثل قضية وجود الإله أو عدمه؟! لا نستطيع حينئذٍ، فما يُقال عن مطالب علمية هو مجرد بهرجة، هناك حالة نفسية موجودة عند الملحدِين بسبب الحالة النفسية لأسباب عديدة وأنا تحدثت عن هذا الموضوع في الجزء السابق من حديثي عن الإلحاد في الحلقات المتقدمة من حلقات هذا البرنامج، لا أريد أن

أكرّر الحديث، تُبهرج بهذه المطالب العلميّة التي تُذكر في كتب الإلحاد، أعتقد أنّ الملحد المنصف سيقبل من أنّ النتائج العلميّة غير النهائيّة لا يمكن أن تؤدّي إلى حكم نهائيّ، الإيمان بهذه القضية إيمانٌ غيبيّ، هذا أمر غيبيّ، كيف آمن الإنسان من أنّ النتائج غير النهائيّة لا تؤدّي إلى حكم نهائيّ؟ كيف آمن بذلك؟ إنّه إيمانٌ غيبيّ.

ألا تلاحظ أنّ كلّ سؤال طرحته، وراء السؤال هناك جذر لهذه الفكرة، والإيمان بجذر هذه الفكرة هو غيبيّ، كلّ الأسئلة التي طرحتها، فبعد السؤال هناك جذر غيبيّ للفكرة التي تناولها السؤال، هذا يدلّك على أنّ الغيب مُلاصقٌ للإدراك البشريّ، كلّ الأسئلة التي مرّت بعد كلّ سؤال هناك سؤال عن جذرٍ غيبيّ للفكرة التي اشتمل عليها ذلك السؤال.

السؤال التاسع: العلماء الآن حينما يرون ظاهرةً أو أثراً معيّناً، يذهبون وراء هذه الظاهرة ووراء هذا الأثر، وربّما يقضّون سنين طويلة، هو نفس هذا الجهاز المُعجّل الفيزيائي الذي أشرتُ إليه طوله ٢٧ كيلو متر، أنا بعض أساتذة الفيزياء الذين زاروا المكان يحدثني يقول: لقد ذهّلنا حين ذهبنا، أصبحنا وكأنّنا تلامذة صِغار في محضر هذه العظمة العلميّة في هذا المختبر، وهو أستاذ جامعيّ، أستاذ جامعيّ يُدرّس الفيزياء، أساساً لماذا صُنِع هذا الجهاز المُعجّل؟ إنّهم يبحثون عن بداية نشوء الكون، (كيف نشأ الكون؟)، وهل أنّ هذه النظريّة نظريّة الانفجار الكبير صحيحة أو نظريّات أخرى، هكذا بدأ الكون، كيف بدأ الكون؟ يبحثون عن هذه القضية والتفاصيل المرتبطة بها، فأقول: إنّ العلماء حين يجدون أثراً صغيراً يبحثون وراءه، لماذا لا يبحث الملحد وراء هذا الأثر الكبير؟ هذا الوجود هذا أثرٌ كبير، لماذا لا يبحث وراء هذا الأثر؟

وهنا يأتي سؤال: هل أنّ الأثر يدلّ على المؤثر أو لا؟ إذا لم يكن الأثر يدلّ على المؤثر، إذاً لماذا يبحث العلماء وراء الآثار؟ أليس بحثهم يدلّ على أنّ الأثر يدلّ على المؤثر؟ كيف آمن الإنسان؟ سؤالٌ آخر، السؤال العاشر: كيف آمن الإنسان من أنّ الأثر يدلّ على المؤثر؟ هذه قضيةٌ غيبيّة الإنسان يدركها حتّى من دون تجربة، الإنسان يُدرك في داخله من أنّ الأثر يدلّ على المؤثر، آمن بها بشكلٍ غيبيّ من دون تجربة، حتّى من دون تفكيرٍ طويل يؤمن بها الإنسان، من أنّ الأثر يدلّ على المؤثر.

ألا نلاحظ أنَّ كُلَّ سؤالٍ، هذا السؤال مبني على فكرةٍ، جذرُ هذه الفكرة فيه جنبةٌ غيبيةٌ، وأعود فأقول: الإدراكُ البشري لا يتحرَّكُ إلَّا بالانكفاء على الغيب، والدليل: هذه الحقائق أمامك، هذه البديهيات، وهذه الحقائق، هذه البديهيات بعيداً عن وجود الإله أو عدم وجود الإله، لكن هذه الأسئلة التي أثرتها أنا على الطريقة السقراطية في البحث كما هم يفعلون، هذه الأسئلة التي أثرتها كُلُّ سؤالٍ يشتمل على فكرةٍ، جذر هذه الفكرة يؤمنُ به الإنسان الملحد وغير الملحد، حتَّى هذا الذي يريد أن يقول من أنَّ الأثر لا يدلُّ على المؤثر ويريد أن يرفض السببية والعلية في حياته، يعمل بذلك، يعني حينما يريد أن يثبت أنَّ هذا البيت له أو هذه السيارة من أملاكه ألا يستعمل هذه الطريقة؟ حينما يتَّهم شخصاً من أنَّه اعتدى عليه أو سرق ماله ألا يستعمل هذا الأسلوب؟ لكن حين يكون الكلام مع الله، مع الإله، بغضِّ النظر عن الله، مع الإله، لأنَّهم يتحدثون عن الإله بشكلٍ مطلق، لأننا حين نتحدَّث عن الله، حين نتحدَّث نقول: الله، عقيدتنا، عقيدة أهل البيت ما هي؟ الحديث مع الملاحدة عن الإله بشكلٍ مطلق، لأنَّ الناس يختلفون في معرفة الإله، فقبول هذه الحقيقة من أنَّ الأثر يدلُّ على المؤثر هو قبول لقضية غيبية، كُلُّ الأسئلة التي أثرتها إلى الآن، أنا أثرت عشرة أسئلة، خمسة منها من هذه الأسئلة، خمسة منها هي أسئلة أصلية، ولكن بعد كُلِّ سؤال يأتي سؤال على الجذر الغيبي لكلِّ فكرةٍ اشتمل عليها هذا السؤال، من أين جاءت هذه الفكرة الغيبية؟

وهذا يعطينا هذه النتيجة: من أنَّ الإدراك البشري حين يتحرَّك في مسيرته الفكرية فهو يتحرَّك متَّكئاً على الغيب، لا يستطيع أن ينفكَّ عن الغيب.

لا بأس أن نذهب إلى فاصلٍ فلربَّما صار الحديث مُتعباً، نذهب إلى فاصلٍ وبعد الفاصل نعود ..

السؤال الحادي عشر يأتي استمراراً للأسئلة المتقدمة، فقد مرَّ السؤال من أنَّ الحضارة الغربية أنجزت المعجزات، ومعجزات الحضارة الغربية أصلها من الإبداع الإنساني، نترك الحديث عن الإبداع الإنساني في جهة أصله من أين جاء، ولكنَّ هذا الإبداع مستمرٌّ، الاستمرارية من أين جاءت؟ إذا أردنا أن نُعرض عن أصل وجوده، هذه الاستمرارية في الإبداع الإنساني من أين جاءت؟ ونفس الأمر ينعكس على مسألة الطاقة في هذا الوجود، من أين تأتي؟ هناك طاقة مستمرة، مصدر هذه الطاقة من أين؟ التفسيرات الفيزيائية

لم تصل إلى النتائج النهائية، فلا نستطيع أن نقف عند التفسير الفيزيائي لمصدر الطاقة النهائي، لا نستطيع، فمن أين جاء مصدر الطاقة في الوجود؟ ومن أين جاءت الاستمرارية في هذا الإبداع الإنساني؟

هناك احتمالان:

إمّا أنّه جهة لا تملك الطاقة ولا تملك الحكمة ومنها تأتي الطاقة ويأتي الإبداع، لأنّ الإبداع الإنساني فيه حكمة، هذا النظام يعني الآن أيّ جهاز من الأجهزة اخترعه الإنسان، جهاز التلفزيون هناك حكمة في هذا الجهاز، الذي صنعه يمتلك حكمة، يمتلك حكمة في صناعة التلفزيون، ولذلك أوجده بهذه الهيئة، فهناك حكمة في الاختراع والصناعة، فهذا الإبداع هو جمال وهندسة وحكمة، استمرارية هذه الجمال والهندسة والحكمة من أين؟

إمّا من جهة لا تملك الطاقة والحكمة والجمال.

وإمّا من جهة تملك الطاقة والحكمة والجمال.

هناك احتمالان، المنطق البشري ماذا يقول؟ هناك حقيقة: (فاقد الشيء لا يعطيه)، ونفس الملحد يطبّق هذه القاعدة في حياته، ولا أعتقد أنّ ملحداً يستطيع فيما بينه وبين نفسه أن يُنكر هذه الحقيقة من أنّ فاقد الشيء لا يعطيه، فأمامنا جهتان:

إمّا جهة لا تملك الإبداع ولا تملك الحكمة ومنها جاء إبداع الإنسان وحكمته في إبداعه،

وإمّا جهة تملك الإبداع والحكمة ومنها جاء إبداع الإنسان وحكمته.

فهذه الجهة إن لم تكن حسيّة أمام أعيننا فهي غيبية، أذهب إلى هذه الحقيقة بغضّ النظر عن هذا التشخيص، هذه الحقيقة التي أستاذ إليها هذا السؤال: (فاقد الشيء لا يعطيه) يؤمن بها الملحد أو لا؟ وجداناً يؤمن بها، ربّما في ساحة الجدل قد يُنكرها، ولكن في وجدانه وحياته يؤمن من أنّ فاقد الشيء لا يعطيه، دعني من الجانب الجدلي والفكري في حياتك أيّها الملحد، تؤمن بهذه القضية أو لا من أنّ فاقد الشيء لا يعطيه؟ فهل الملحد مثلاً يذهب إلى مكان لا يوجد فيه الماء كي يجلب الماء؟! لن يذهب، لأنّ هذا المكان يفقد الماء، ولو ذهب أحد فإنّ الملحد سيسخر منه أو سيلومه كيف تذهب إلى مكان ليس فيه ماء تريد أن تأتي بالماء منه؟ فهو يؤمن، إيمانه بهذه البديهة هو غيبي، كيف آمن بها؟ بغضّ النظر عن السؤال الأوّل، لأنّ السؤال الأوّل - وهو السؤال الحادي عشر، قصدي السؤال الأوّل بعد الفاصل، وهو السؤال الحادي عشر في سلسلة الأسئلة في هذه الحلقة - يستند إلى هذا الجذر: فاقد الشيء لا يعطيه،

إيمان الملحد بهذا الجذر هو إيمانٌ غيبيّ، من خلال كلّ هذه الأسئلة وخلف كلّ سؤال هناك جذرٌ غيبيّ، هناك فكرةٌ لها جذرٌ غيبيّ، ماذا نستنتج؟

نستنتج أنّ الفكر الإنساني لا يستطيع أن يُنكر الغيب مُطلقاً، بدليل: هو يؤمن به، هذه البديهيات لا يستطيع الملحد أن يُنكرها، على الأقلّ فيما بينه وبين نفسه، (فاقدُ الشيء لا يعطيه، الأثر يدلُّ على المؤثر، هذا الإبداع لابدّ أن يكون له أصل، تكرار الظاهرة أو التجربة بنفس المواصفات والخصائص استنتج الإنسان منها أنّ هذا القانون يمكن أن ينطبق على بقية الظواهر التي لم يشاهدها الإنسان)، هذه كلّها أفكار جذورها غيبيةٌ، كيف آمن بها الإنسان؟ لم يلمسها بيده، لم يشاهدها بعينه، لم يجربها جميعاً، وأطلقها حتّى على القضايا الماضية التي انتهت، ويطلقها كذلك على القضايا الآتية التي لم تأت بعد، ويطلقها على القضايا الغائبة الآن، الحاضرة ولكنها ليست تحت يديه، الإيمان بهذه المعطيات من أنّ لها جذرٌ غيبيّ.

إذاً هناك غيب، فإذا آمنا بجزء من الغيب، لا نستطيع أن نُنكر الغيب الواسع المحيط، لا نستطيع، كيف آمنا بجزء من الغيب ثمّ بعد ذلك نقول لا وجود للغيب المطلق؟! فمثلما وجد هذا الجزء من الغيب في إدراك الإنسان، هناك غيبٌ مطلق لا نستطيع أن تنفيه، قد لا نستطيع أن نقيم الدليل عليه بالنسبة للملحد.

كما مرّ أنّ الملحد من حقّة أن يقول: لا أملك دليلاً على وجود الله.

وإنّني أقولُ له: أيضاً أنت لا تملك دليلاً على عدم وجوده.

فإذا أراد أن يقول: من أنّني لا أملك دليلاً على الغيب المطلق، على الغيب المحيط بالوجود.

أقول: ولكنك أيضاً لا تملك دليلاً على عدم وجوده، بل إنّك تؤمن بالغيب في هذه البديهيات، وهذه الحقائق التي تمّت الإشارة إليها.

هناك إيمانٌ بجزء من الغيب، إذا كان الإنسان يؤمن بجزء من الغيب ما المانع أن يؤمن بالغيب المطلق أو على الأقلّ لا يستطيع أن ينفيه، فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن ينفي وجود الغيب المطلق، فلا يستطيع أن ينفي وجود الإله، فوجود الإله وجود غيبيّ، فلا يستطيع أن ينفي وجود الإله حينئذٍ، فمثلما آمن ببديهيات جذورها غيبيةٌ وعلى هذا الأساس لا يستطيع أن ينفي الغيب العام، الغيب المطلق، فهو موجود،

فإذا كان هناك من غيبٍ مطلق، من غيب عام، فكيف يستطيع أن ينفي وجود الإله؟ فوجود الإله وجودٌ غيبي على الأقلّ بالنسبة لنا.

هذه أسئلة على الملحد أن يجيب عليها أو على الأقل أن ينظر إليها مثلما هو يثير أسئلة؛

مثلاً الملحد يُثير أسئلة:

- لماذا جاء في الدين الحكم الشرعي الفلاني؟
- لماذا تلد المرأة في بعض الأحيان طفلاً معوّقاً؟
- لماذا يتعرض الإنسان لحوادث تؤدّي به الى الهلاك؟
- لماذا هذه الزلازل؟
- لماذا، لماذا الأشياء التي تكون مُنْعَصَةً أو مهلكة للإنسان؟

هذه أسئلة هو لا يملكُ جوابها، فمجرد إثارات بمجموع هذه الإثارات يُشكّل حالة نفسية تُفَرِّهُ من الدين وتفاصيل الدين، فيقول: لا وجود للإله، يعضد ذلك بتفسيرات علمية للأشياء، فيقول: لا علاقة للغيب بها، ولكنّه ينسى أن هذه التفسيرات العلمية لم تكن قد وصلت إلى النهايات الكاملة.

الآن العلماء يختلفون؛ مثلاً الآن الأرض تتحرّك، الحركة المحوريّة للأرض، الآن العلماء في العالم على مجموعتين:

مجموعة تقول: هذه الحركة المحوريّة في الكرة الأرضيّة سببها المجال المغناطيسي الموجود.

وهناك مجموعة أخرى تقول: أساساً الحركة هي التي توجد المجال المغناطيسي.

بالضبط عكس الحال، الأرض تتحرّك والمجال المغناطيسي موجود، الأرض تتحرّك الآن ومجال مغناطيسي أرضي موجود، لكن العلماء هكذا يقولون، البعض منهم يقول: المجال المغناطيسي هو الذي يسبّب الحركة المحوريّة، وهناك علماء آخرون يقولون: لا، أساساً الحركة المحوريّة هي التي تسبّب المجال المغناطيسي. العلم لم يصل إلى نتائج نهائية.

الآن علماء الكونيّات ماذا يقولون؟ البعض منهم يقول: هذه الأجزاء الصغيرة، الجسيمات الصغيرة التي يتكوّن منها هذا الكون، هذه الجسيمات غير منضبطة بقوانين، بل يذهبون إلى أننا مجرد أن نرصّد، مجرد الرصد العلمي لهذه الجسيمات التي تتكوّن منها المادّة، مجرد الرصد العلمي لها يجعلها تُغيّر حركتها

ومسارها واتجاهها، مجرد أن تُرصد، ويمكن أن تختفي من دون قانون، ويمكن أن تعود، ويمكن أن تتحرك في جميع الاتجاهات من دون ضوابط، يقولون: هذه الجسيمات التي يتألف منها هذا الكون.

لذلك يقولون: الكون احتمالي، يقصدون من أن الكون احتمالي؛ حركة الجسيمات في داخل التكوين المادي للكون، أنها تتحرك من دون قواعد.

إتجاه آخر يقولون: لا، الكون منضبط والجسيمات منضبطة، لكننا إلى الآن ما امتلكن الوسائل التي نستطيع أن ندرك بها هذه الحقيقة، وما وصل إليه العلماء الفيزيائيون من أن الجسيمات الصغيرة التي تكون الكون ليست منضبطة، هذه صورة مشوشة، هذه لقطة من لقطات الجهل الإنساني، وسيأتي اليوم الذي يتوصل فيه علماء الفيزياء إلى إيجاد الوسائل التي من خلالها يعرفون أن حركة الجسيمات التي يتكون منها الكون منضبطة بقوانين دقيقة جداً.

هؤلاء يقولون هذا، وهؤلاء يقولون هذا، ومع ذلك هؤلاء العلماء في نظرياتهم وأبحاثهم يحققون لنا العجائب، لماذا؟ لأن العلم وصل في بعض الجهات إلى نتائج علمية وعملية صحيحة، وفي جهات أخرى خصوصاً في الجانب التفسيري النهائي للأشياء العلمية لم يصل العلم إلى الآن إليها.

فلا يمكن للملحد حينئذ أن يأتي بهذه المعلومات ويضيفها إلى الإثارات النفسية، وإلى ردود الفعل إما من التفسير الديني الخاطئ أو من تصرفات رجال الدين أو من المؤسسات الدينية السيئة على طول التاريخ، فيجمع هذا الركاب ويقول لنا: هذا علم، وهو علم الإلحاد، كما بينت قبل قليل من أن أسلوبهم هو الأسلوب السقراطي، والأسلوب السقراطي هو مجرد إثارة أسئلة، أنا الآن استعملت نفس الأسلوب، هذه الأسئلة التي أثرتها للذي يتابعني ألا تولد في النفس ردّة فعل نفسية على الإلحاد؟ تولد هذه الحالة، هم يثيرون أسئلة تولد ردّة فعل نفسية على الإيمان بوجود الإله، على الدين، هذا هو الأسلوب السقراطي، قد يكون مفيداً في بعض الأحيان، وقد لا يكون مفيداً في أحيان أخرى، لكنه يقودنا إلى حالة نفسية، وهذا هو مرادي من أن الإلحاد ما هو بمسألة علمية، هو مسألة نفسية، هو ردّة فعل نفسية.

لا بأس أن نذهب إلى فاصل وبعد الفاصل أعود كي أكمل حديثي ..

هناك قضية بخصوص موضوع الإلحاد أثرتها وأشرت إليها وقلت: هناك من علماء الولايات المتحدة الأمريكية ممن أثار هذه القضية، فهو أجرى دراسة حول كبار شخصيات الملحددين، هناك صفة واضحة

عند أكثرهم، الصفة الواضحة: عندهم مشكلة في علاقاتهم بآبائهم، البعض منهم أساساً ما رأوا آباءهم، لأنَّهم حين فتحوا عيونهم للحياة وجدوا آباءهم ميتين، آباؤهم ماتوا وهم صغار، مثل الفيلسوف الفرنسي (جان بول سارتر)، مثل الفيلسوف البريطاني (برتراند راسل)، وهناك من كانت علاقته سيئة جداً بآبائهم أو أساساً يشكون في أنَّ هؤلاء هم آباء لهم أو لا، بسبب العلاقات الجنسية لأمهاتهم مع رجال آخرين، مثل: (سجمون فرويد)، هذا العالم المشهور من علماء النفس، مثل: (كارل ماركس) فيلسوف الماركسية، وأساساً الماركسية تُنسب إليه، هو ماركس، كارل ماركس، مثل: (توماس هوبس)، مثل: (فولتير) هذا الفيلسوف الفرنسي المشهور من أكبر الشكاكين في العالم، قائمة طويلة تكثر فيها الأسماء، من عتاة الملحد، من كبار الملحد، حين درس حياتهم الشخصية، وجد أنَّ عندهم مشكلة في قضية الأبوة، وهذه المسألة قد تكون أوسع وأكبر في المجتمع الغربي.

المجتمع الغربي، وهذه الإضافة من عندي أوسع البحث الذي أشرتُ إليه في الدراسات الغربية: المجتمع الغربي عنده مشكلة مع الأبوة، بغض النظر عن الأبوة النسبية، عن هذا العالم الأمريكي يتحدث عن الأبوة النسبية، كما جئتُ بأمثلة مثل: جان بول سارتر أو راسل مثلاً أو فولتير، إمَّا آباؤهم ماتوا أو أنَّهم كانوا على علاقة سيئة جداً بآبائهم، فكانت نظرهم سيئة جداً باتجاه الآباء، ولكنني أقول: الحضارة الغربية بشكل عام عندها مشكلة مع مفهوم الأبوة، وهذه المشكلة جاءت من جهات عديدة، أنا هنا لا أريد أن أدرس التاريخ الأوروبي في هذه العجالة أو التاريخ الغربي، حتى التاريخ الأمريكي، بالنتيجة الذين ذهبوا إلى أمريكا هم خرجوا من أوروبا، من أين خرجوا؟ ما تُسمَّى بظاهرة الفردانية الآن الموجودة في المجتمع الغربي، فتحدثت عن أوروبا مثلاً، ظاهرة الفردانية هي الظاهرة الحاكمة في المجتمع، الآن الأوروبيون كيف يعيشون؟ يعيشون تحت هذا العنوان، عنوان: (الشخصية الفردانية)، الشخص يعيش بمفرده، حتى لو كان يعيش مع أسرة، البناء العام هو البناء الفردي، البناء الفردي، الشخصية الفردانية؛ شخصية رافضة لكل معاني الأبوة، الشخصية الفردانية الغربية حققت للإنسان كثيراً من مصالحه، وحققت له مساحة واسعة من الحرية، ولكن أيضاً جرَّت عليه ويلات أخرى، أنا هنا لا أريد أن أناقش الجانب الاجتماعي في الحياة الأوروبية، ظاهرة الشخصية الفردانية في المجتمع الغربي فيها منافع وفيها مساوئ، وكما قلتُ لستُ بصدد دراسة هذا الموضوع، لكنني أقول: الفردانية جاءت في مواجهة الأبوة.

لماذا سعى الفكر الغربي إلى الفردانية الشخصية؟ سعى الفكر الغربي إلى الفردانية الشخصية طلباً للحرية، طلباً لأن يُكسر الأغلال التي قيدت شخصيته، أيُّ أغلال؟ أوَّل ما كسروا كسروا أغلال الأبوة الدينية، وأساساً أصلاً هم يسمون الزعيم الديني (البابا)، ويخاطبون رجل الدين بالأب، فأوَّل ما كسروا كسرت

الحضارة الغربية الأبوة الدينية، وعقيدتهم مبنية على: (الأب والإبن وروح القدس)، فهذه الفكرة فكرة الأبوة فكرة متجذرة في الثقافة الغربية ولكنها تجذرت بشكل سيئ بسبب الإسقاطات من المؤسسة الدينية، من المؤسسة الحاكمة، فرفضت الحضارة الغربية المعاصرة، ما سُمّي بعصر الأنوار، هؤلاء المنورون الغربيون رفضوا الأبوة الدينية، ورفضوا كذلك الأبوة السياسية، رفضوا الدكتاتوريات، فالدكتاتورية هي أبوة، الدكتاتور يتصرف مع شعبه وفقاً لرؤيته من دون أن يرى مصلحة شعبه، وإذا أراد أن ينظر إلى مصلحة شعبه فمن وجهة نظره هو، لا من وجهة نظر شعبه ومن وجهة نظر الواقع، فالدكتاتورية هي ضرب من أضراب الأبوة السيئة، فرفضوا الأبوة السياسية، ورفضوا الأبوة الدينية، وهذا قادم بعد ذلك أن يرفضوا الأبوة الاجتماعية، أن يرفضوا أبوة المجتمع، الأعراف، لأن هذه الأعراف نشأت في ظل الأبوة السياسية الدكتاتورية وفي ظل الأبوة الدينية الظالمة، فرفضوا الأبوة الاجتماعية، ثم رفضوا الأبوة النسبية، الأبوة الأسرية، فتحرر الفرد الأوربي من قيود الأسرة، ومن قيود المجتمع، ومن قيود السلطة الدينية، ومن قيود السلطة السياسية، فكان النظام الديمقراطي، فالشخصية الفردانية في العالم الغربي شخصية رافضة لكل معاني الأبوة، بشكل ظاهر في عالم الشعور أو بشكل باطن في عالم اللاشعور.

هذا يساعد على أي شيء؟ على رفض الأبوة الربوبية، خصوصاً في الثقافة المسيحية الرب هو الأب، وهم يقولون على أنفسهم بأنهم أبناء الله، المسيحيون هم أبناء الله، هذا معتقدتهم الديني، فحينما نشأ هذا الذوق الفكري الذوق الفردي، نشأ معه الذوق الإلحادي، من هنا نجد أن القرآن الكريم على طول الخط دائماً يقرن بين الله والوالدين، دائماً، فالعلاقة الحسنة مع الوالدين تقود إلى العلاقة الحسنة مع الله، ومن هنا جاء: (رضا الله من رضا الوالدين)، هذا هو منطق آل محمد، هذا قرآنهم:

إذا ذهبنا إلى سورة البقرة، في الآية الثالثة والثمانين: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ - مَا هُوَ الميثاق الذي أخذ عليهم؟ - لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، هذا منهج الديانات؛ الربط بين الله وبين الوالدين.

إذا ذهبنا إلى سورة النساء، في الآية السادسة والثلاثين: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

إذا ذهبنا إلى سورة الأنعام، وإلى الآية الحادية والخمسين بعد المئة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

إذا ذهبنا إلى سورة الإسراء، وإلى الآية ٢٣: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾ - الإمام الصادق يقول: (لو كانت هناك كلمة في لغة العرب أقل من هذه الكلمة لذكرها الله)، لا توجد كلمة تشير إلى الأذى أصغر من هذه الكلمة في لغة العرب، لذلك الله سبحانه وتعالى ذكرها، يقول لو كانت هناك كلمة أقل لذكرت - ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾ - التأكيد على العلاقة الحميمة بهما، لماذا؟ لأن العلاقة بهما تكون عاملاً مُساعداً لعلاقة صحيحة مع الله، ومن هنا جاء: الولد العاق أعماله باطلة، لأن العقوق يؤدي إلى علاقة سيئة مع الله، إذا كان العقوق العقوق.

في سورة لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ - الشكر لله وللوالدين - إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٥﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا - ولكن - وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ - ومع ذلك هم يبدلان جهدهما معك على أن تكون مشركاً، الله يقول لك: (لا تطعهما، ولكن صاحبهما في الدنيا معروفاً)، لماذا؟ لأن العلاقة الصحيحة بالوالدين تقود إلى الإيمان بالله، هناك رابط، وهذه العلاقة بمثابة تربية، هذا الأب كائن هو الذي خلقتك، هو الذي أوجدك، وهو الذي يرباك، إذا تشبعت بهذه الفكرة: أن هذا الأب الذي كان سبباً لوجودك، وسبباً لنماتك ونموك، وكان هو الراعي لك، حتى ورد في بعض الروايات أنه: (إذا وعدتم الأطفال ففوا لهم فإنهم يرون أنكم ترزقوهم)، لأن هذا الطفل يرى أباه هو الرازق له، وهو الراعي، وهو الحافظ، حينما يصيبه الأذى من أي أحد، يلجأ إلى أبيه، هذا نحو تدريب على العلاقة مع الله، فكلمنا توثقت العلاقة بشكل صحيح في إطارها الصحيح فيما بين الولد والديه، في البداية تأتي بشكل قهري، ولكن حينما يكبر وتكون هذه العلاقة بشكلها الصحيح هذه العلاقة تقوده إلى علاقة سليمة مع الله سبحانه وتعالى، والمراد تقوده إلى علاقة سليمة مع الله؛ إلى علاقة سليمة مع مُحَمَّدٍ وعليٍّ، فهما أبوا هذه الأمة، الأبوة الحقيقية لمُحَمَّدٍ وعليٍّ.

هذا تفسير إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه، ماذا تقول أحاديثهم الشريفة؟ تقول أحاديثهم الشريفة: عن إمامنا العسكري، عن سيد الأوصياء، عن رسول الله، ماذا يقول رسول الله؟ (أَنَا وَعَلِيٌّ أَبَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَحَقْنَا عَلَيْهِمْ - على هذه الأمة - أَعْظَمُ مِنْ حَقِّ أَبِي وَلَدَتِهِمْ، فَإِنَّا نُنْقِذُهُمْ إِنْ أَطَاعُونَا مِنَ النَّارِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، وَنُلْحِقُهُمْ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ بِخِيَارِ الْأَحْرَارِ)، والروايات كثيرة جداً، لا أجد مجالاً لأن أوردتها، كان في بالي أن أقرأ بعضاً منها، ولكن هذا مثال ونموذج، توجد روايات كثيرة في تفسير الإمام

العسكري تقوم بعملية مقارنة بين آباءنا الحقيقيين: (مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ)، وبين آباءنا النسبيين، آباءنا الذين ولدونا، الذين جننا من أصلهم.

هذا يقودنا إلى أي شيء؟ هذا يقودنا إلى حكمة التشريعات الإسلامية، أي حكمة؟ الأحكام الشرعية التي نصت على أي شيء؟ نصت على حرمة الزنا، لماذا؟ كي تُحفظ الأنساب.

الأحكام الشرعية التي أمرت النساء بالحجاب، لماذا؟ كي تحافظ المرأة على عفتها، وأمرت الرجال والنساء بغض النظر كي لا يتوفر المجال لشيوع الزنا، وشرعت زواج المتعة، حتى قال أمير المؤمنين: (لولا عُمَرُ وما فعله من تحريره للزواج المنقطع لما زنا إلّا شقي أو شقية).

كل هذه التشريعات توجد جواً لأبناء الحلال، إذا وجد هذا الجو ونشأت النطفة الحلال في أحضان الآباء والأمهات الصالحين، سينشأ المجتمع على عقيدة الإيمان والتوحيد، هذه منظومة دينية متكاملة، من وجوب غض البصر، إلى الحجاب، إلى الزواج المنقطع، إلى حرمة الزنا، إلى العفة، إلى... ، إلى هذه المنظومة المتكاملة كي توجد أولاد حلال، وأضاف إليها الأئمة المعصومون أنهم حللوا الخمس (لتطيب ولادهم ولا تخبث)، الإمام الحجة حلل الخمس في زمان الغيبة: (وَأَمَّا الْخُمْسُ فَقَدْ أُبِيحَ لِشِيعَتِنَا وَجُعِلُوا مِنْهُ فِي حِلٍّ إِلَى وَقْتِ ظُهُورِ أَمْرِنَا لِتَطْيِبِ وَلَادَتِهِمْ وَلَا تَخْبَثُ)، هذه غاية من غايات التحليل قطعاً وليس الغايات كلها في هذه الغاية، كل هذا لأي شيء؟ الأئمة يتنازلون عن حقوقهم، هذه التشريعات كلها كي تبني مجتمعاً تكون الولادات فيه ولادات طاهرة محللة، حلال، أبناء حلال، هم يقولون: (كُنَّا نُبور أولادنا بحب عليّ - هذه الروايات موجودة في كتب المخالفين، والله في كتبهم موجودة - كُنَّا نُبور - نبور؛ يعني نمتجن - كُنَّا نُبور أولادنا بحب عليّ، ننتظره على الأبواب إذا مرّ فنسأل صبياننا أتجبن هذا؟ فإن قالوا: نعم، ضممناهم إلينا، وإن قالوا: لا، أبعدهناهم عنّا)، كُنَّا نُبور أولادنا بحب عليّ بن أبي طالب، هذه منظومة عقائدية متكاملة، (مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنكُمُ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ إِلَيْكُمْ)، منظومة عقائدية كاملة.

ولذلك هذه الفكرة التي وصل إليها بعض علماء الغرب: من أن قضية الإلحاد مرتبطة بعقدة الأبوة عند هؤلاء الملاحدة، قضية منطقية جداً، على الأقل من وجهة نظر منطق مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، هذا قرأهم، وهذا حديثهم، وهذه أحكامهم.

وهنا تتجلى لنا الحكمة من التشريعات، لماذا حرّم الله الزنا؟ لماذا أوجب الحجاب على النساء؟ لماذا أوجب علينا أن نغض النظر عن الحرام؟ لماذا أوجب علينا أن نأكل الحلال كي لا تتكوّن النطفة الحرام؟ لماذا ولماذا

ولماذا؟ سلسلة طويلة من الأحكام لأجل أن يُصنع الإنسان في مصنعٍ نظيف، فإذا ما صُنِعَ في مصنعٍ نظيف وتأتي الأحكام بطاعة الوالدين وبرّهما، ستنشأ العلاقة الصحيحة مع الله سبحانه وتعالى، وهذا الموضوع ينجرّ على باقي الأحكام أيضاً، الذين يسألون عن الحجاب، ويسألون عن سائر الأحكام، هذه تتضح حكمتها من خلال معرفة هذه المنظومة الحكيمة في ديننا، هذا الجزء قطعاً ليس مع الملحدّين، هذا الجزء مع محبّي أهل البيت، الجزء الأوّل من كلامي كان مع الملحدّين؛ الأسئلة التي أثّرتها.

المطالب قد تعدّد وأنا أرى الوقت بات قريباً من فاصل الأذان والصلاة بحسب التوقيت المحلي لمدينة لندن، أتمنّى أن تكون الإجابة كافية وإن كان في بالي أن أذكر مطالب أخرى ولكن الوقت أدركنا، إن شاء الله تعالى إذا كان في العمر فُسحة وكان هناك حلقات أخرى من هذا البرنامج في الأيام القادمة وسنحت فرصة مناسبة سأتحّدث أكثر وأكثر في هذا المطلب، يبدو أنّ الكثيرين يرغبون في الحديث حول هذا الموضوع، خصوصاً في أجواء الجامعيين، في الأجواء الثقافية، لانتشار ظاهرة الإلحاد في زماننا هذا، بدأت تنتشر شيئاً فشيئاً في الأوساط الجامعية في بلداننا العربية والإسلامية، تحيّي لأبنائي من طلبة كليّة الإعلام في بغداد الذين أرسلوا رسالتهم هذه، وسألوا سؤالهم هذا، أتمنّى لهم التوفيق، وأتمنّى أن يكون الجواب مفيداً ونافعاً وقد أصاب الهدف، وأعيد الكرة إلى ملعبك يا مُحَمَّد.

● **المقدّم:** طيّب الله أنفاسكم مولاي، إذاً مشاهدنا الجزء الأوّل لهذه الحلقة انتهى، سوف يكون إن شاء الله الجزء الثاني بعد فاصل الأذان والصلاة بحسب توقيت مدينة لندن، اليوم وللمرة الثانية أطلب من الأخ المخرج الآن أن نستقبل وقت الأذان بصوت المرحوم عبد الرضا النجفي، والفاصل الأساسي لهذا البرنامج وعدلين ميتين يَمَك يا عليّ، إن شاء الله بعد هذا الفاصل وبعد استمرار فاصل الأذان نعود حتّى نستكمل الجزء الثاني لحلقة برنامج سؤالك على شاشة القمر؛ الحلقة ٢٨، بعد عدلين ميتين يَمَك يا عليّ إن شاء الله، أسألكم الدعاء في أمان الله.

● الشيخ عبد الحليم الغزّي:

سلامٌ على إمامنا الباقر وصلواتٌ على إمامنا العاشر، وفي الأوّل من شهر رجب ميلاد إمامنا أبي جعفر الباقر، وفي الثاني من شهر رجب ميلاد إمامنا عليّ بن مُحَمَّد الهادي صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين، فنحنُ بين يومٍ فيه ولادة الباقر وبين ليلةٍ هي ليلة ميلاد إمامنا العاشر.

هذا هو الجزء الثاني من الحلقة الثامنة والعشرين من برنامجنا سؤالك على شاشة القمر، وقد تقدّم الجزء الأول من هذه الحلقة قبل فاصل الأذان والصلاة بحسب التوقيت المحلي لمدينة لندن.

هذه الحلقة وهي الحلقة الثامنة والعشرون، يتوقّف بعدها البرنامج في الأسبوع المقبل وما بعده إلى فترة زمنية معيّنة، وبعدها نعود في خدمتكم إن شاء الله تعالى، فهذه الحلقة هي الحلقة الأخيرة من الموسم الأول لهذا البرنامج، الموسم الثاني إن شاء الله تعالى سيبدأ في أقرب فرصة ممكنة، وسيتم الإعلان عن بداية الموسم الثاني لبرنامج سؤالك على شاشة القمر عبر تلفزيون القمر وعلى شريط أخبار القناة، وعبر الإنترنت أيضاً إن شاء الله تعالى، لذا المرجو من إخواننا وأخواتنا وأبنائنا وبناتنا التوقّف عن إرسال الرسائل لأنّ الإيميل سيُغلق، وكذلك التليفون ووسائل الإتصال ستُغلق حتّى نعود إليكم في الموسم الثاني من هذا البرنامج، أمّا الرسائل المتبقية وأقدم اعتذاري الشديد وأعتقد أنّي قد قضيت ساعاتٍ طويلة في خدمتكم، ولكن هذا هو الوقت والرسائل كثيرة والأسئلة بحاجة إلى تفصيل في القول، ما بقي من الرسائل التي ما أجبت عليها أعذر عن ذلك اعتذاراً شديداً، وإن شاء الله تعالى في الموسم الثاني أو إذا سنحت فرصة أخرى في أي برنامج آخر وكان مناسباً أن أجيب على الرسائل سأجيب عليها، (والعذر عند كرام الناس مقبول).

وأعود كي أكمل حديثي في هذه الحلقة، وقد قلت في أوّلها من أنّي سأتناول موضوعين، الموضوع الأول أكملته في الجزء الأول من هذه الحلقة، بقي عندي موضوع واحد وسأحاول أن أختصره، لن أطيل فيه كثيراً وإن كان موضوعاً مهماً جداً، ما سأحدثُ به هو جوابٌ على سؤال هذا السؤال هكذا يقول:

• لو أن الأمر بيدك - الخطاب لي - فما هي خطّتك في العمل لتغيير المؤسسة الدينية؟

أنا أقول للسائل: لا كان الأمر بيدي، ولا هو بيدي الآن، ولن يكون الأمر بيدي، لذا لن أجيب على نفس السؤال، ولكنني سأجيب بمقاربة لما قصده السائل، سأضع رؤية لتغيير الواقع الشيعي، وتغيير الواقع الشيعي الذي أتحدثُ عنه أنا أتحدثُ عن الجانب العقائدي والفكري، لا شأن لي بالجانب السياسي، كلّ يعمل باختصاصه، هذا هو اختصاصي، فلا أتحدثُ عن الواقع السياسي.

• حديثي عن الساحة الثقافية الشيعية وكيف نستطيع أن نُخلصها ممّا لحق بها من الفكر الناصبي:

وقطعاً الكلام يبدأ من المؤسسة الدينية: فكّلما كانت المؤسسة الدينية نظيفة، كلّما كانت ساحة الثقافة الشيعية وكانت عقول الشيعة نظيفة أيضاً، وكلّما اتّسخت هذه المؤسسة بأوساخ الفكر الناصبي، اتّسخت الساحة الثقافية الشيعية واتّسخت عقول الشيعة بالفكر الناصبي، لذا سأقدم صورة عن رؤية

موجزة، قطعاً هذه الرؤية لن ترى النور، وإنما هو كلامٌ في كلام، قد تكون هذه الرؤية من الرؤى الطوباوية أو الطوباوية كما يقولون، والمراد من الرؤى الطوباوية أو الطوباوية هي الرؤى المثالية، فقط في عالم الخيال، رؤى مثالية متكاملة وإن كانت هذه الرؤية ليست مثالية، هي رؤية واقعية.

هناك أمورٌ أشير إليها: لو أننا أردنا أن نرسم خارطة عملٍ لتغيير الواقع الثقافي الشيعي ونبدأ من المؤسسة الدينية، بادئ ذي بدء هناك أمورٌ ثلاثة لأبداً من إنجازها قبل كل شيء، قبل كل حركة، قبل كل خطوة لأبداً من إنجاز هذه الأمور الثلاثة، وبعد ذلك ندخل في التفاصيل:

الأمر الأول: ما يرتبط بالجانب المالي للمؤسسة الدينية، من دون الأموال لن يكون هناك عمل، من دون الأموال لن تكون هناك حركة، وقوة المؤسسة الدينية في قوة جانبها المالي، فما الذي لأبداً أن يصنع؟ بحسب ما أرى أوّل شيء هو إيقاف مسألة الأخماس، هذا أوّل شيء، لا أريد هنا الدخول في نقاش المسألة من الوجه الشرعي، ولكن في أحسن الأحوال، في أحسن الأحوال فإنّ الخمس من مواطن الشبهة، في أحسن الأحوال، إذا لم نسلّم برسالة الإمام الحجة إلى إسحاق بن يعقوب وبخطّ يده، بخطّ يد الإمام الحجة ومن طريق السفير الثاني: (وَأَمَّا الْخُمْسُ فَقَدْ أُبِيحَ لِشِيعَتِنَا وَجُعِلُوا مِنْهُ فِي حِلٍّ إِلَى وَقْتِ ظُهُورِ أَمْرِنَا لِطَيْبٍ وَلَدَتْهُمْ وَكَأَنَّ تَخْبُثَ)، إذا لم نسلّم بالمضمون الواضح الصريح لهذه الرسالة ونجعل من هذا القول حاكماً على بقية الروايات، باعتبار هذا القول الفصل الحكم الواضح المتأخّر، هذا آخر شيء جاءنا عن إمام زماننا فهو حاكم على ما قبله، إذا لم نسلّم، فعلى الأقلّ هذا النصّ يجعلنا في مقام الشبهة، تكون هذه الأموال أموال شبهة، يعني هذا النصّ لأبداً أن يؤثر، إن لم نسلّم به على سبيل القطع وينتهي حكم الخمس في زمان الغيبة إلى الإباحة والحلية، لأبداً أن يؤثر بدرجة من الدرجات فيصبح الخمس من مواطن الشبهة، فلماذا يتقاتل المراجع على مواطن الشبهة؟! ولماذا تقتل المؤسسة الدينية نفسها على أموال الشبهة وعندها أبواب يمكن أن تحمي منها أموالاً أكثر من الخمس؟! قطعاً السبب واضح، أن أموال الخمس لا فيها حساب ولا كتاب، ولا فيها شغل ولا مشغلة ولا أي شيء، ويرثها الأبناء بعد ذلك وتنتهي القضية، خصوصاً الآن اللعبة الجديدة: جعل أولاد المراجع مراجع حتى يتخلّصوا من قضية أولاد السيّد الخوئي حين ابتلوا بعد وفاة السيّد الخوئي وما فيهم مرجع وقضية الأموال، الآن إذا أولاد المراجع يصيرون مراجع في حياة آبائهم، الأموال تنتقل بسلاسة وينتهي كل شيء، وهذا هو الذي يشتغل عليه الآن المراجع، ليس في النجف فقط، في النجف وفي قم، الجميع يشتغلون على هذه القضية، لا شأن لنا بهذا الموضوع، هذا الموضوع يخصّهم، حديثنا عن الجانب المالي، إلغاء مسألة الأخماس، الخمس، فالخمس في أحسن أحواله هو من موارد الشبهة بحسب هذا التوقيع الشريف الصادر عن إمام زماننا، فهو من موارد الشبهة، فلماذا تريد

المؤسسة الدينية أن تستعمل أموالاً من موارد الشبهة؟! أليس المفروض أنها تُحيي أمر إمام زمانها؟ المفروض، فكيف يُحيي أمر إمام زمانها بأموال الإمام حكم فيها بغير الذي حكمت فيه المرجعية والمؤسسة الدينية، فلذا لا بُدَّ من إلغاء موضوع الخمس مُطلقاً من المؤسسة الدينية، وأن تُنشئ المؤسسة الدينية مشروعاً اقتصادياً كبيراً يعتمد على الأوقاف الاستثمارية، هناك مساحة كبيرة من الأوقاف أُهملت وضاعت، وكثير من هذه الأوقاف أصلاً الناس أخذتها وتحوّلت إلى ملكية خاصة، هناك أوقاف هائلة جداً أُهملت وتُركت، وهذا الباب لم تُشجّع المؤسسة الدينية الناس أن يدخلوا من خلاله، لو أن المؤسسة الدينية تُشجّع التجار مثلاً الآن تُوجب عليهم الخمس وتُحثهم لجمع الأموال والتبرعات، يمكن أن توجّههم ويتحوّل التثقيف الديني إلى مسألة الأوقاف الاستثمارية، الفاتيكان أمواله من أين؟ أساساً تأسس الفاتيكان على الوقف الاستثماري، وإلى الآن أمواله من الوقف الاستثماري، وعندهم أموال طائلة جداً بحيث لا يحتاجون إلى أية مساعدة من أية جهة، المؤسسة الدينية تستطيع أن تستثمر ما عندها من الأموال الآن الموجودة وتستطيع أن تبعث الحياة في الأوقاف الميتة الآن الموجودة فعلاً، وتستطيع أن تدفع تجار الشيعة وأصحاب الأموال إلى التوجّه إلى الوقف الاستثماري، ويمكن أن تُنشئ مؤسسة اقتصادية كبيرة، هذه الأموال التابعة للمؤسسة الدينية تُستثمر فيها وتشجّع التجار الشيعة أن يستثمروا أيضاً فيها، فكلّما كان رأس المال كبيراً كلّما كانت السلامة مضمونة أكثر، المشاريع التي تخسر هي المشاريع الصغيرة، المشاريع الكبيرة لا تخسر، لا تتعرّض للخسارة، يوم أمس أشرت إلى بيت التمويل الكويتي، ما هي هذه تجربة نظامها النظري كُتب في النجف، كتبه السيّد محمد باقر الصدر: (البنك اللاربوي في الإسلام)، هذا صندوق استثماري، أموال استثمرت فيه، فيمكن أن تكون هناك مؤسسة، ولكن هذه المؤسسة لا يُؤتي بمعهم من أبناء المراجع لا خبرة له حتّى في سوق البقالة ويوضع رئيساً عليها، هذه مؤسسة لا بُدَّ أن تُنشأ على أساس علمي وأن يُديرها هؤلاء الكبار من اقتصاديي العالم، هناك الآن في العالم شخصيات قد تُحسب على رؤوس الأصابع، وهؤلاء مجرد أن يستقيل واحد منهم من شركة من الشركات أو مؤسسة، تتسابق إليه المؤسسات العالمية، وإذا عُرضت عليهم رواتب عالية يأتون، هؤلاء يستطيعون أن يُديروا مؤسسات ويضمنوا النجاح والربح لها بشكل قطعي، ولكنهم يأخذون رواتب عالية جداً ويستحقّونها، فتجد أن مدير الشركة العملاقة الفلانية قد يصل راتبه في السنة إلى عشرة ملايين دولار مثلاً، غير الإضافات، غير الفيلا والشالية والشقة والمكتب وأسطول من السيارات، وربما كذلك طائرات هليكوبتر في المناطق التي يمكن أن تتحرّك فيها طائرات الهليكوبتر، هو شخص واحد لكنّه يستطيع أن يجلب الأرباح والأرباح والأرباح الهائلة، وهؤلاء فيهم من العرب، من المسيحيين العرب، من المسلمين، من اليهود، من كلّ الأمم شخصيات مختلفة، هم مُحترِفون، وهؤلاء قلة، ولكن يمكن التواصل معهم، البحث عن

شخصيات من هذا النوع، وإعطاؤهم الحرية الكاملة في إدارة المشروع، ويختارون المكان والزمان، ويختارون المساعدين، لا أن تأتي مجموعة من المعممين الأغبياء ويديرون مثلاً مؤسسة اقتصادية وهم لا خبرة لهم بها، فلأبد من إنشاء مؤسسة اقتصادية تقوم على الوقف الاستثماري، وعلى مشاركة تجار الشيعة فيها، وبالتالي تعود الأرباح حتى على تجار الشيعة، وتعود الأرباح على المؤسسة الدينية، لكن هذه المؤسسة قطعاً سيكون فيها محامون ومحاسبون، سيكون لها بنكها الخاص، فتكون عملية السرقة والفساد المالي قليلة جداً، فقطعاً المراجع والعلماء لا يرغبون بها لأن أولادهم وأصهارهم حينئذ إذا كان لهم من راتب أو من حق فسيكون محدوداً، فقطعاً لا يرغبون بها، أولاد المراجع وأصهار المراجع يعثون بالأموال الهائلة والطائلة للمؤسسة الدينية، هذه القضية قضية مهمة جداً هو تأمين الجانب المالي للمؤسسة الدينية بهذا الشكل بعيداً عن الأخماس وهذه اللعبة القذرة التي يمارسها وكلاء المراجع والبقية والأولاد والأصهار والأقرباء، أن تكون هناك مؤسسة اقتصادية تعتمد على الوقف الاستثماري، وهناك أوقاف هائلة يمكن أن تكون أوقافاً استثمارية فعلاً، وفي الأيام القادمة إذا ما صار التثقيف والتوجيه بهذا الاتجاه، هذه القضية الأولى، أنا قلت هناك أمور ثلاثة لأبد من إنجازها قبل كل شيء، وهذه المؤسسة كما قلت لأبد أن تُدار من رجال اقتصاد لا من معتمدين ومكشدين، لا من أناس لا علم لهم بالاقتصاد، من رجال لهم خبرة ودراية، وليأخذوا أعلى الرواتب، مؤسسة تكون مثل هذه الشركات الكبرى الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية، في أوربا، فليكن مقرها في العراق، مقرها في الخليج، مقرها في اليابان، مقرها في الولايات المتحدة الأمريكية، في أي مكان، هذا الأمر يُحدده أهل الخبرة، هذا الجانب المالي، وأنا قلت مجرد رؤية، لن نتحقق على أرض الواقع، لكنّه جواب على سؤال.

الجانب الثاني: لأبد أن المؤسسة الدينية الشيعية تُشخص موقفها السياسي والإنساني وبالذات الإنساني، وأنا مزجت هنا بين السياسي والإنساني لأنه لا انفكاك بينهما، لأبد أن تشخص المؤسسة الدينية الشيعية موقفها السياسي والإنساني من أي شيء؟ من الإرهاب بشكل واضح، بحيث يكون هناك عمل مُركّز على مستوى الإعلام، على مستوى المؤتمرات، على مستوى التواصل مع المنظمات العالمية في كل دول العالم، وحتى على مستوى التواصل مع الحكومات المهمة إذا كانت هناك ضرورة، التواصل لأجل أي شيء؟ لعزل التشيع عن منظومة الإرهاب السني، هذه الأكذوبة: (أن الإرهاب ليس له دين)، هذه أكذوبة يرددها أيضاً علماؤنا ومراجعنا الكرام، أكذوبة هذه.

الإرهاب له دين: دينه الإسلام بالقراءة السنية، هذا هو دين الإرهاب، هناك إسلام بقراءة عليّ، وهناك إسلام بقراءة السقيفة، الإسلام بقراءة السقيفة هو دين الإرهاب، هذه حقيقة واضحة، إلى أي مذهب

ينتمي الإرهابيون من أولهم إلى آخرهم؟ إلى إسلام بقراءة السقيفة، المؤسسة الدينية الشيعية مؤسسة مستخذية، تعيش حالة من الاستخذاء والانبطاح العقائدي، عليها أن تشخص هذا الموقف، هذا الموقف سيعود على الشيعة وعليها وعلى مستقبل الشيعة وحاضرهم في جميع الاتجاهات السياسية، الإنسانية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، حتى على انتشار التشيع، حتى على إحياء أمر إمام زماننا، لكن المؤسسة الدينية الشيعية إما تتعامل بغباء أو باستخذاء أو بعدم شعور بالمسؤولية، على المؤسسة الدينية الشيعية أن تبين للعالم جميعاً، ولكل من يقول: إني مسلم، الإسلام بقراءة علي هو غير الإسلام بقراءة السقيفة، إسلام علي لا إرهاب فيه، وإسلام السقيفة هو إسلام الإرهاب، على المؤسسة الدينية الشيعية أن تشخص هذا الأمر، هذه أكاذيب تُرددها المؤسسة الدينية الشيعية، والفضائيات الشيعية، والساسة الشيعة، يُردّدون: (أن الإرهاب لا دين له)، الإرهاب له دين، هؤلاء الإرهابيون متدينون، كيف لا دين لهم؟! هؤلاء الإرهابيون من المتزمتين والمتزمين بدينهم، ما هو دينهم؟ دينهم الإسلام بقراءة السقيفة، هذا هو دين الإرهاب.

أما مذهبه: فهي المذاهب السنية جميعاً، فليس الإرهابيون من مذهب واحد، الإرهابيون فيهم الحنبلي، وفيهم المالكي، وفيهم الشافعي، وفيهم الحنفي، وفيهم الوهابي، وفيهم السلفي، وفيهم وفيهم وفيهم، من كل المذاهب، فكيف يقولون إن الإرهاب لا مذهب له؟! مذهب الإرهاب المذاهب السنية.

قد يقول قائل: إن من السنة من يرفضون الإرهاب.

نعم، وأنا لا أنكر ذلك، هناك من السنة من ينكرون الإرهاب، ولكن هؤلاء هم العلمانيون من السنة الذين لا علاقة لهم بالالتزام الديني السني، ومع ذلك حتى هؤلاء إذا سمعوا من أن الإرهابيين السنة قتلوا الشيعة إن لم يفرحوا ويصفقوا بالخفاء لذلك، فهم لا يعترضون، ولا يبدون أي امتعاض، هذا هو الواقع أو لا؟ هذا هو الواقع الذي نحن عشناه ونعيشه، أما السنة الذين يرفضون الإرهاب، يرفضون الإرهاب إذا كان في بلادهم السنية، ولكن حينما يكون مع الشيعة وهو في الغالب مع الشيعة فإنهم يصفقون لذلك، فكيف يكون القول من أن السنة ليسوا مع الإرهاب؟! الآن الذين ينزحون من الموصل، إلى الآن، إلى الآن مع كل الذي جرى عليهم، ولكن إلى الآن قلوبهم مع داعش، لا أقول الجميع، ولكن لو خيروا بين داعش وبين التشيع، يختارون داعش على التشيع، حتى هؤلاء الذين نزحوا من الموصل، هذا هو الواقع، ويختارون داعش على التشيع لا لأن الشيعة قد فعلوا لهم شيئاً، هذه قضية عقائدية، أنا لا أبالي بما سيُقال عن كلامي، هذه طائفة أو شيء آخر، هذه حقائق، فعلى المؤسسة الدينية الشيعية أن تشخص للعالم أجمع

ولكلّ المسلمين من عُشّاق داعش ومن غيرهم أن تُشخّص لهم: (أنّ الإسلام بقراءة عليّ يختلف اختلافاً كاملاً عن الإسلام بقراءة السقيفة)، وأدّل دليل على ذلك أنّ عليّاً حين عرضوا عليه الخلافة في الشورى العُمريّة واشترطوا عليه أن يسير بسيرة الشيخين، رَفَضَ، مع أنّه كان بإمكانه أن يقبل حتّى يستتبّ له الأمر ثمّ يُطبّق ما يريد، ثمّ يفعل ما يريد، لكنّه ما أراد أن يفسح المجال لأن يتطرّق هذا الفهم إلى ذهن أحد من أنّه راضٍ عن سيرة الشيخين، لذلك رَفَضَ، فقراءة عليّ هي هذه، وشعار الحسين يا أيّتها المؤسسة الدينيّة الشيعيّة: (إِنِّي مَا خَرَجْتُ أَشِيراً وَلَا بَطِراً - إلى أن يقول سيّد الشهداء - وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي - لماذا؟ - أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)، أيّ سيرة؟ السيرة الّتي تخالف سيرة الشيخين، هذه سيرة عليّ بن أبي طالب، فهناك إسلامٌ بقراءة عليّ، وهناك إسلام بقراءة السقيفة، والموقفان مُتناقضان، ألم يكن الخطابُ في كربلاء: (إذا وقع السيف بيننا فأنتم أُمَّةٌ ونحنُ أُمَّةٌ)، فأولئك أُمَّةٌ وهؤلاء أُمَّةٌ، أُمَّتان، أُمَّةٌ إسلامها بقراءة عليّ، وأُمَّةٌ إسلامها بقراءة السقيفة.

أنا لا أدعو هنا إلى التناحر أو إلى القتال أبداً، في نفس الوقت الذي أقولُ هذا الكلام أنا أدعو إلى الاتفاق على المصالح المشتركة كي نُحقّق السّلم الأهلي في تعايشٍ واحد، نتفق على مصالحنا، المصالح الحيائيّة، لكن على المؤسسة الدينيّة أن تُشخّص موقف التشيّع من الإرهاب بشكل واضح، وأن تُبيّن للعالم من أنّ الإرهاب له دين.

بسبب هذا الموقف المستخذي من المؤسسة الدينيّة الشيعيّة اختلط الحابل بالنابل في تمييز موقف منهج الكتاب والعترة عن موقف السقيفة اتّجاه الإرهاب، الإرهاب له دين، دينه الإسلام بقراءة السقيفة، له مذهب، مذهبه المذاهب السنيّة، الإرهابيون من مذاهب مختلفة.

له وطن؟ نعم، له وطن، وطنه السعوديّة، معروف، وطنه وجنسيّته السعوديّة، أكثر الإرهابيين في العالم من أين يأتون؟ من السعوديّة، وأنا هنا لا أريد أن أُحمّل الحكومة السعوديّة، قد يكون للبعض من أفرادها مدخليّة، الحكومة السعوديّة موقفها الرسمي واضحٌ علناً ضدّ الإرهاب، أنا لا أريد أن أُحمّل الحكومة السعوديّة، قد يكون جزءٌ منها، لكن الحديث عن المؤسسة الدينيّة السعوديّة، هي موطن الإرهاب، وهي منبع الإرهاب، فالإرهاب هذا دينه، وهذه مذاهبه، وهذا موطنه وجنسيّته، وأعتقد أنّ هذه المعلومات دقيقة وحقيقيّة وواضحة.

فلماذا أيتها المؤسسة الدينية الشيعية تصبغين نفسك بهذه الصبغة؟! لماذا؟! هذه القضية قضية مهمة جداً، لأننا إذا شخصنا موقفنا السياسي والإنساني من الإرهاب، هذه ستفتح لنا مجالاً للانتشار الإعلامي، والاجتماعي، وعلى جميع الصور.

النقطة الثالثة: لأبد من وجود إعلامٍ مُحترَفٍ تابعٍ للمؤسسة الدينية يعمل على جناحين:

- جناحٌ يعمل داخل الوسط الشيعي لتنقية أذهان الشيعة من الفكر الناصبي الذي لحقَ بها، ولتنقية ساحة الثقافة الشيعية ممّا لحقَ بها من الفكر القطبي، ومن الفكر الناصبي بكلِّ أشكاله.
- وجناحٌ آخر إنَّه يُخاطب الآخر، يُخاطب العالم، يُخاطب العالم لا لدعوته للتشيع، وإنَّما لشرح التشيع، لبيان التشيع، ما هو التشيع؟ كيف نفهم الإسلام بقراءة عليٍّ؟ أن نعرض إسلام عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، أن لا نخلط بين عليٍّ وبين غيره، فعليٌّ لا يمكن أن يخلط مع غيره، وعليٌّ لا يمكن أن يُقاس بغيره، قطعاً نحن بحاجة إلى السينما، نحن بحاجة إلى الإنترنت، نحن بحاجة إلى مساحات واسعة في الإعلام، كلُّما قوي الإعلام كلُّما قويت شوكة الشيعة.

هذه الأمور الثلاثة ما لم تتحقّق لن نستطيع أن نخطو خطوةً صحيحةً في تغيير واقع المؤسسة الدينية؛

- الجانب المالي،
- الموقف السياسي والإنساني من الإرهاب،
- المؤسسة الإعلامية الكبيرة والكبيرة جداً المحترفة.

وما بين هذا وذاك لأبد من وجود جهةٍ رسميةٍ ناطقةٍ عن المؤسسة الدينية تنطقُ عن الشيعة والتشيع، نحنُ ما عندنا أحد الآن يُمثّل التشيع بشكلٍ رسميٍّ واضح، الذين يتحدّثون على الفضائيات أو في المؤتمرات والله يفشّلون.

- يعني لو يطلع لنا واحد مثل عجوز وتسولف ويّا كنانيتها، باللغة الفصحى - وإن المعنى راح يخرب - يعني امرأةٌ كبيرة السن (حمّة) تُحدّث كنانيتها، راح وخرب المعنى، فيخرج علينا كأنّه عجوز تسولف ويّا كنانيتها.
- واحد الآخر يخرج علينا كأنّه من رجال الكهوف، لا أدري يتحدّث في العصر الحجري، العصر البرونزي، لا أدري!!

- واحد آخر يخرج علينا يُتأتى ولا يُحسن سطرَيْن من الحديث بشكلٍ مناسبٍ ولائقٍ، وواحد آخر، وواحد آخر ...

والله ما عندنا واحد ينطلع بيه، ما عندنا واحد، وأنا أقول لهذه المؤسسة الدينية: تجاوزون علياً أمير البيان، أمير الفصاحة والبلاغة، ما عندكم واحد يطلع يتحدث أمام الناس باسم التشيع، باسم المؤسسة الدينية ينطلع بيه، هذا النفخ اللي تنفخون بيه على الناس وينه هذا النفخ؟! وتُصورون للناس من أنكم أفضل الناس، هذا النفخ وينه؟! ما هي مصاديقه على أرض الواقع؟! قبل ٢٠٠٣ كُنا نقول: الظلم، والخفاء، الآن العالم تغير من ٢٠٠٣ إلى الآن ما شفنا واحد خرج على الفضائيات، خرج للناس في الاجتماعات العامة، خرج للناس في مواطن الخطابة والحديث، يستطيع الإنسان أن يفتخر به، والله ما رأينا واحداً هكذا، يومية طالع لنا واحد أتعس من اللي قبله، هذا هو الموجود على أرض الواقع، حين نُقَلِّب شاشات التلفزيون فحينما نُشاهد برنامجاً من البرامج يجلس فيه هؤلاء المثقفون العلمانيون أو الدكاترة اللادينيون، تعجبك الأشخاص والحديث وطريقة الكلام والحوار، وحين نذهب إلى فضائياتنا الدينية فنرى وضعاً مُقرفاً إلى أبعد الحدود، تخلف، وعي، وتأناة، وتحجر، هذا هو الواقع الذي نعيشه، وأمامكم التلفزيون والقنوات، وقوموا بعملية مقارنة وتطبيق لقولي هذا لمدة أسبوع، تابعوا على القنوات ولاحظوا النتائج ما هي. فنحن بحاجة إلى جهة رسمية تنطق عن الشيعة وعن التشيع، لا بلسان الاستخداء، بلسان علي، بلسان المرأة والقوة والمتانة والفصاحة والبلاغة، بحاجة إلى جهة هكذا تنطق عن تشيع علي وآل علي.

بعد ذلك ننتقل إلى برنامج التغيير، ولابد أن التغيير يكون على عدة جهات:

الجهة الأولى: لابد من إيجاد نظامٍ للمرجعية، مرجعيتنا من دون نظام، فوضى، لابد من إيجاد نظامٍ للمرجعية، لابد من وجود مجلسٍ هذا المجلس يجمع تحت قَبْته الذين يمكن أن يكونوا مراجع، ويُنتخب المرجع من بينهم لا على أساس الوراثة، ولا على أساس الوساطات، ولا على أساس أي نوع من أنواع العَبَثِيَّة التي تجري في المؤسسة الدينية، وقطعاً هذا يحتاج إلى إيجاد الثقافة الصحيحة التي تنتشر في الوسط الشيعي؛ ثقافة المرجعية بحسب ما يريد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، المرجعية عند أهل البيت وظيفة وليست منزلة ومقاماً مقدساً، المرجعية وظيفة دينية اجتماعية، المرجعية مؤهلات وليست وراثة وتوريث، لأنه ابن فلان، لأنه صهر فلان، لأنه أخو فلان، المرجعية مؤهلات وليست توريثاً، المرجعية مسؤولية وليست طموحاً؛ أن الحوزوي يدرس وطموحه أن يكون مرجعاً، المرجعية ليست طموحاً، المرجعية مسؤولية، لابد من إيجاد هذه الثقافة، فالمرجعية وظيفة دينية اجتماعية وليست منزلة

ومقاماً مُقدَّساً، لأننا إذا جعلنا المرجعية منزلةً ومقاماً مُقدَّساً، صارت فوق النقد، وهذا ليس موجوداً في ثقافة أهل البيت، ليس فوق النقد إلّا الإمام المعصوم، ومع ذلك كانوا ينتقدونه ويقبل بذلك، لكن في الحقيقة ليس فوق النقد إلّا الإمام المعصوم، فالمرجعية وظيفة دينية اجتماعية، إذا فهمنا المرجعية في هذا الإطار، كانت مورداً للمُحاسبة وللمساءلة ولِلانتقاد، لأننا جعلنا المرجعية منزلةً ومقاماً مُقدَّساً يسأل ولا يُسأل، صارت الأوضاع هكذا، صارت هذه الأوضاع السيئة وتحوّلت المرجعية إلى مؤسسة فاشلة بتمام معنى الفشل، وهذا الواقع الموجود بين أيدينا.

ماذا يقول إمامنا الصادق؟ هذا هو تفسير إمامنا العسكري وهو يتحدث عن المراجع السيئين عند اليهود وعند الشيعة، الصفحة ٢٧٣، ما هي أوصافهم؟ من أوصافهم التي يستطيع الناس أن يُشخصوها: **يُهْلِكُونَ مَنْ يَتَعَصَّبُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ لِإِصْلَاحِ أَمْرِهِ مُسْتَحِقّاً** - يعني هذا الشخص يستحق أن يُدعم، أن يُؤيد، أن يُصلح أمره، وهم يُهلكونه، لماذا؟ لأنه يختلف معهم في الرأي - **يُهْلِكُونَ مَنْ يَتَعَصَّبُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ لِإِصْلَاحِ أَمْرِهِ مُسْتَحِقّاً وَيَتَرَفَّقُونَ بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ عَلَى مَنْ تَعَصَّبُوا لَهُ وَإِنْ كَانَ لِلْإِذْلَالِ وَالْإِهَانَةِ مُسْتَحِقّاً** - هذا كلام إمامنا الصادق، وأنا أقرأ من تفسير إمامنا العسكري صلواتُ الله وسلامه عليه/ منشورات ذوي القربى/ الطبعة الأولى/ قم المقدسة/ الصفحة ٢٧٣/ إمامنا العسكري يحدثنا عن إمامنا الصادق، أوصاف أخرى ولكن هذا الوصف يستطيع الشيعة أن يتلّسّوه - **يُهْلِكُونَ مَنْ يَتَعَصَّبُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ لِإِصْلَاحِ أَمْرِهِ مُسْتَحِقّاً** - هؤلاء الفقهاء هم الذين يقول عنهم إمامنا الصادق في نفس الرواية: **أَضَرَّ عَلَى ضُعْفَاءِ شِيعَتِنَا مِنْ جَيْشِ يَزِيدَ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَصْحَابِهِ** - هذا الفقيه الذي هو بهذا الوصف، والمرجع الذي هو بهذه الأحوال، هو الذي يصفه الإمام بالملبس الكافر، يصفه في نفس الرواية بأنه مُلبس مُحْتال، بالملبس الكافر، مُحْتال، وغشّاش، ومُنَافِق، الملبس هو المحتال والغشّاش والمخادع والمنافق، فالإمام يصف المرجع الشيعي الذي يتحلّى بهذه الصفات بأنه مُلبس كافر، ومن أنه أضّرّ على الشيعة من جيش يزيد على الحسين ابن علي وأصحابه.

فلابدّ من ثقافةٍ تنتشر في الوسط الشيعي من أن المرجعية ليست منزلةً ومقاماً مُقدَّساً، وليست ميراثاً يرثه الأصهار والأبناء، المرجعية وظيفة دينية اجتماعية لها مؤهلاتها الخاصة، وهي مسئولية وليست طموحاً لتحقيق الرغبات الدنيوية، ولتحقيق شهوة الزعامة وجمع الأموال وتوريثها للأولاد والبنات، ما المرجعية هكذا، ولا المرجعية كهنوت يُفرض على الشيعة ولا يُسمَح للشيعة أن يسألوا أو أن ينتقدوا أو أن يعترضوا، ما هي بكنهوتٍ مسيحيّ كاثوليكي، لأبدّ أن تنتشر هذه الثقافة عن المرجعية.

ولابد أن يكون المرجع مؤهلاً موصوفاً على الأقل بالفقاهة أولاً، والعدالة ثانياً.

لا أقول الاجتهاد فالاجتهاد مصطلح لا يحبّه أهل البيت، مصطلح يُغضه أهل البيت، فلماذا نلجأ إليه؟! هذا من مصطلح النواصب، لا شأن لنا به.

أول صفة من صفات المرجع: الفقاهة.

وثانياً: العدالة.

وثالثاً: الكفاءة، الكفاءة أعني بها كفاءة القيادة، لابد أن يكون مُتَّصِفاً بصفة القيادة، وإلا فلا يكون مرجعاً، فليكن مُفتياً، يجلس في بيته فقط يجب إذا سألوه في مسائل الطهارات والنجاسات، لا أن يفرض نفسه زعيماً على الأمة ويُطالب الأمة أن تُطيعه في كل شيء وهو لا يتحلّى بصفة القيادة.

قد تقول: وما معنى القيادة؟ القيادة قطعاً في أصلها ملكة، ملكة تُولد مع الإنسان، لكن التجارب والثقافة والعلوم والمعارف والعمل على أرض الواقع هي التي ستظهر هذه الصفة في صاحبها وفي حاملها، ولكن القائد من هو؟ يمكننا أن نتلمّس آثار القيادة.

القيادة تعني تحليل الواقع وتقييمه بشكل دقيق، وتشخيص الموقف المناسب لما يجري على أرض الواقع مع القدرة على تطبيق ذلك بالشكل الصحيح.

القيادة هي هذه، القائد هو هذا الذي يمتلك القدرة على التحليل والتقييم لما يجري حوله على أرض الواقع، وفي نفس الوقت يُشخّص الموقف الصحيح وهو قادرٌ على تفعيله وتطبيقه على أرض الواقع على نفسه وعلى غيره ممّن يقودهم، هذا هو القائد.

أمّا هذا الذي لا يمتلك هذه المواصفات ما هو بقائد، أو أنّه يعمل بعكس هذا، تحليله وتقييمه خاطئ، تشخيصه خاطئ، لا يمتلك القدرة على التطبيق، هذا ما هو بقائد، هذا بالضبط بالعكس، هذا لا قائد، هذا هو يحتاج إلى من يقوده، المشكلة أنّ الكثير من المراجع هكذا هم بحاجة إلى من يقودهم، نحن لا نعترض على أنّ الشيعي يصبح فقيهاً، ويصبح فقيهاً لنفسه، لعائلته، هذا أمرٌ خاصٌّ به، أن يصبح فقيهاً لقرية، لمدينة، بحدود الفتوى وصلاة الجماعة، لحلّ المشاكل الاجتماعية، الدائرة بين الأسر والعوائل، أمّا أن يكون قائداً للأمة، لابد أن يتّصف بهذه الأوصاف.

وهو يحتاج في ذلك إلى اطلاعٍ واسعٍ على التأريخ، خصوصاً التأريخ الحديث، الذي لا يعرف التأريخ الحديث لا يستطيع أن يُشكّل رؤيةً صحيحة، أن يعرف تأريخ الولايات المتحدة الأمريكية، فهذه أكبر دولة في العالم وأقوى دولة في العالم، وأقوى حضارة عبر التأريخ، أن يعرف تأريخها وهو تأريخٌ معقّدٌ واسعٌ مفصّل، أن يعرف تأريخ أوربا بكلّ تفاصيله، على الأقلّ التأريخ الحديث، كي يعرف أين يضع قدمه وكيف يتحرّك.

أن يعرف تأريخ الثورات في العالم، الثورة الأمريكية، الثورة الفرنسيّة، الثورة البلشفيّة، الثورة الإيرانيّة.

أن يعرف تأريخ الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وكيف استطاعت الأمم أن تتخلّص منها.

لأبّد أن يكون مُلمّاً بقدرٍ كبيرٍ من تجارب التأريخ.

لأبّد أن يكون مطلعاً على علم السياسة وفنونها.

لأبّد أن يكون مُلمّاً بفنّ الإدارة والتخطيط، ولو بالقدر الضروري الذي يحتاجه في عمله.

أن يكون على ثقافةٍ واسعةٍ في عصره حتّى يستطيع أن يتواصل مع سائر الطبقات الاجتماعية.

من دون ذلك كيف يمكن أن يكون قائداً؟! سيكون حينئذٍ مقوداً لا خبرة له بأيّ شأنٍ من الشؤون التي يُرجعُ إليه فيها وسيعطي أجوبته بشكلٍ غرائزيٍّ، وهذا هو الذي نحنُ نُبتلى به الآن، زعامتنا الدينيون يُعطون آراءهم بشكلٍ غرائزيٍّ أو نتيجة تأثيرٍ من شخصٍ جاهل لا خبرة له بما يقول، فقط على رأسه لفّةٌ كبيرةٌ من القماش، وعلى وجهه كمّيّةٌ كثيرةٌ من الشعر، وله سلسلةٌ من الألقاب لا حقيقة لها على أرض الواقع، سلسلة طويلة، لأنّه يأتي بهذا الوصف ويُحدّث المرجع بكلامٍ ما، ويبيّن عليه، وينتج بعد ذلك الهراء الحقيقي، والشيعيّة تُقدّس هذا الهراء، أليس في حلقة يوم غد كيف أن قائداً سياسياً وهو السيّد طالب الرفاعي كيف خدع المرجع الكبير السيّد محسن الحكيم، وفي البرنامج على قناة العربيّة أطلق ضحكةً ساخرةً صفراء وقال: هذه كذبةٌ بيضاء، فقادنا أحزابنا الشيعيّة السياسيّة الدينيّة يضحكون على مراجعنا، ومراجعنا يضحكون علينا، ونحنُ نضحك على أنفسنا، ويضحك بعضنا على بعضٍ في أن ما خرج من مراجعنا هو هذا أفضل ما يمكن أن يكون في العالم، أليس الأمور تجري هكذا؟ ما أنا الذي قلت هذا الكلام، الفيديو واضح وعرضناه في حلقة يوم أمس، زعيم سياسيٍّ شيعيٍّ يخدع المرجع الشيعيٍّ، والمرجع الشيعيٍّ بعد ذلك يخرج علينا بمواقف يخدعنا فيها، قطعاً من دون سوء نيّة، ونحن نخدع أنفسنا بما خدعنا به مراجعنا، ويضحك بعضنا على بعض، أليس هي هذه الحكاية؟ الحكاية هكذا، فلا بُدّ للمرجع من أن

يُتَّصَف بالفقاهة والعدالة والكفاءة، والكفاءة تعني القيادة، القيادة بهذا المعنى وبهذا الأفق، لأبَد من إيجاد نظامٍ لتحديد مؤهلات ومُشخَّصات المرجع، ولأبَد من وجود قانون: متى يعمل، متى يتوقف عن العمل، نحن عايشنا مراجع أصابهم الخَرْف والناس لا تدري بذلك، أو وصلوا إلى حالةٍ قريبة من الخَرْف، كانوا موتى ما هم أحياء، صحيح عنده نَفْس ولكنَّهُ مَيِّت، حينما يكون بمثل هذه الحالة لأبَد أن يخرج من وصف المرجعية، ولكن لأننا جعلنا المرجعية منزلةً ومقاماً مقدَّساً، المقام المقدَّس لا يمكن أن يُسَلَب، لو كانت المرجعية كما قلت مثلما أراد أهل البيت لَمَّا الإمام يقول لبعض أصحابه: (إني أحب أن تجلس في المسجد وتفتي الناس) وظيفة، وظيفة، هي هذه وظيفة، أنا أحب أن يراك الناس، وأن تُفتي الناس، هذه وظيفة، المرجعية في ثقافة أهل البيت وظيفة، وظيفة دينية، أحب أن تجلس في المسجد، المسجد مكان ديني، وتفتي الناس، تفتي بقضية دينية، والناس شأن اجتماعي، فالمرجعية وظيفة دينية اجتماعية وليس أكثر من ذلك، لكن المؤسسة الدينية مع جُهال الشيعة الذين صنَّموا المراجع حَوَّلوا المرجعية إلى منزلة ومقام مقدَّس، بحيث المرجع يخرف ويبقى مرجعاً لأنَّ المقام المقدَّس لا يُسَلَب من صاحبه.

الموضوع طويل عريض، وأنا كما قلت هي رؤية، ورؤية لن تتحقَّق على أرض الواقع، لذلك أوجز الحديث، هذا ما يرتبط بالمرجعية، وإن كان عندي في هذا الموضوع حديث طويل وطويل جداً، ولكنني بشكل موجز أقول: المرجع لأبَد أن يتَّصف بصفة: (الفقاهة والعدالة والكفاءة)، الكفاءة التي هي القيادة، التي تعني القابلية والقدرة على تحليل وتقييم الواقع من حوله ومن حول الأمة، وتشخيص الموقف الدقيق، والقدرة على تفعيل ذلك وتطبيقه على الأرض، مع حزمة من المعلومات والثقافة التي أشرت إليها، ما يرتبط بالتأريخ، التأريخ الذي يحتاجه المرجع في تشخيص المواقف، لا التأريخ الذي يرتبط في جوانب ميّنة، التأريخ الذي نحتاجه لتشخيص المواقف الحية في واقعنا اليوم، خصوصاً التأريخ الحديث الذي يجعلنا نتلمَّس كيف نستطيع أن نتعامل مع الأمم الأخرى، التأريخ، والسياسة، وفن الإدارة والتخطيط، على الأقلّ بالقدر الضروري، والثقافة العامة لشؤون العصر، وهناك أمرٌ أساسيٌّ ومهمٌّ جداً لأبَد أن يتَّصف به المرجع، هذا الأمر وهذه الصفة هي أوضح صفة في الأنبياء والأئمة وهي الخطابة الفائقة أو على الأقلّ الناجحة، لأبَد أن يكون المرجع خطيباً إذا كان قائداً، أمّا إذا كان مُفتياً في بيته هذا شأن آخر، المرجع الذي يكون قائداً وتعود إليه الأمة لأبَد أن يكون خطيباً مفوَّهاً، هذه أبرز صفة في صفات الأئمة، أولاد الأئمة ليس بالضرورة أن يتَّصفوا بهذه الصفة، لكن الإمام لأبَد أن يكون خطيباً مفوَّهاً، الأشخاص الذين نصبهم الأئمة كانوا خطباء ومفوَّهين، عموم الشيعة ليسوا مُطالبين بذلك، فإذا كان المراجع ينوبون عن الإمام الحجة لأبَد أن يكون المرجع خطيباً مفوَّهاً، على الأقلّ للأئمة التي يقودها، فإذا كان يقود أمة

فارسيّة، لأبْدَ أن يكون خطيباً مفوّهاً باللّغة الفارسيّة، وإذا كان يقود أُمّةً عربيّةً، لأبْدَ أن يكون خطيباً مفوّهاً باللّغة العربيّة، وإلّا دلّوني في أيّ مكانٍ في العالم قادة يقودون أُمماً ولا يتكلّمون لغتها؟! في أيّ مكانٍ في العالم؟! دلّونا، هذا التاريخ وهذا الواقع أمامكم، في أيّ مكان قادة يقودون أُمماً ولا يتكلّمون لغتها ولا يمتلكون القدرة على الخطابة فيها؟! حينما ينتخبون رئيساً في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، دائماً يضعونه في مواطن الحديث، والحديث المخرج، وأوّل نقطة يُقيّمون الرئيس فيها هي قدرته الخطابيّة، فتجد أنّ وسائل الإعلام تُسلّط الضوء على هذا الموضوع بشكلٍ واضح، وهذا الأمر في كلّ مكان، حتّى إذا أردنا أن نرجع إلى تاريخ الأمويين، العبّاسيين، إلى سيرة أئمّتنا، إلى سيرة كلّ الأئمّ، لأبْدَ أن يكون القائد خطيباً مفوّهاً، على الأقلّ في ضوء ثقافة أهل البيت، أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، هذا كتاب نهج البلاغة، ما الذي فيه؟ خطبٌ لعليّ صلوات الله وسلامه عليه خطبها في الناس، وخطبُ أمير المؤمنين أكثر من ذلك بكثير، لكن هذا مثال ونموذج، وهذا هو شأن الأئمّة المعصومين، فلماذا الذين ينوبون عن أئمّتنا لا يمتلكون القدرة على الخطابة؟! لماذا؟! لم يدرسوا ذلك؟ لم يتعلّموا؟ فهذا تقصيرٌ منهم، لا يمتلكون هذه القابليّة؟ فهذا قصورٌ منهم، والقاصر والمقصّر لا يجلس في هذا المكان، لأبْدَ أن يُحاسب.

ماذا تقولون أنتم يا شيعة أهل البيت؟! هذا كلام حكي مسطر، لكن أليس هذا هو المنطق الذي يريده إمام زماننا؟ هذا هو منطق إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، هذا منطق عليّ وآل عليّ، أبرز صفة في مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ الخطابة الفاتقة، فلابْدَ أن تكون هذه الصفة في مراجع الأُمّة أو على الأقلّ خطابة ناجحة، أن يكون خطيباً ناجحاً، وأنا أتحدّث عن اللّغة التي يتكلّم فيها، إن كان مرجعاً للأتراك، أن يكون خطيباً مفوّهاً بالتركيّة، إن كان مرجعاً للفُرس، أن يكون خطيباً مفوّهاً بالفارسيّة، إن كان مرجعاً للعرب، أن يكون خطيباً مفوّهاً باللّغة العربيّة، إذا كان مرجعاً للجميع فعليه أن يكون خطيباً مفوّهاً بالعربيّة، لأنّ العربيّة هي لغة الدين، إذا كان مرجعاً لعدّة قوميات فليس ملزماً أن يكون خطيباً لكلّ اللّغات، أن يكون خطيباً مفوّهاً باللّغة العربيّة كما كان الأئمّة، فهم أئمّة للجميع ويتعاملون في حديثهم اليوميّ باللّغة العربيّة، وحين يخطبون، يخطبون باللّغة العربيّة، لأنّ الخطابة هي الوسيلة السحريّة الرابطة بين القائد والأُمّة، وما أنا أقول هذا، النبيّ الأعظم يقول، يقول: (إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً)، البيان ما هو؟ البيان هو الخطابة، هو النثر، قال: (إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً - عزلنا الشعر - وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا)، البيان؛ الخطابة، فالخطابة هي الوسيلة السحريّة الرابطة بين القائد والأُمّة، إذا كانت وسيلة التواصل هذه مفقودة، ستكون العلاقة عرجاء، علاقة عرجاء وهذه قيادة عرجاء، لأبْدَ من التفاعل بين القيادة والأُمّة، كيف يحدث هذا التفاعل؟ هل يحدث عن طريق الأكاذيب وتضخيم مقامات

القيادة وإعطاء الكرامات والمعجزات التي لا حقيقة لها؟! أم من خلال التواصل عبر خطابة القائد مع أمته؟ وهذا هو الذي رأيناه مع رسول الله صلى الله عليه وآله، أقل شيء، أقل شيء رسول الله كان يخطب خطبتين في الأسبوع في صلاة الجمعة، هذا أقل شيء، وإلا في أكثر الأيام كان يخطب في أصحابه، وهذا ديدن علي وديدن المعصومين، والمفروض أن يكون هذا أيضاً هو ديدن مراجع الأمة لأنهم يمثلون محمداً وآل محمداً، لكن الذي يجري على أرض الواقع بالضبط عكس هذا ١٠٠%.

لا بأس أن نذهب إلى فاصل ..

هذه الحلقات نحن دخلنا في المناطق الشائكة في حقول الألغام، الكلام هذا بحاجة إلى تفصيل أكثر لكنني سأستعجل في الحديث، أنتقل إلى فقرة أخرى، إلى عنوان آخر:

الحوزة العلمية الدينية: لأبداً من تغيير المناهج، ومن إيجاد منظومة تقييم للدارسين فيها، يمكن أن تكون الدراسة الحرة نافعة، وقد تكون نافعة لبعض الأشخاص، والدراسة المنظمة على طريقة المدارس أو الكليات أو الجامعات، الأسلوب الدراسي ليس مشكلة، المشكلة في المنهج وفي التقييم، لأبداً من وجود منظومة تقييم، أن يقدم الطالب الدروس والأبحاث، لأبداً من وجود منظومة تقييم يطول الحديث فيها الآن ولا أريد الدخول في التفصيل، ولأبداً من تغيير المناهج، المناهج الحوزوية القائمة، على الأقل بحسب وجهة نظري، ربما الآخرون يرفضون كلامي، بحسب وجهة نظري فالسؤال موجّه لي وأنا حرّ بما أقتنع وبما أوجب، المناهج القائمة الآن لن تُنتج لنا إلا أناساً فاشلين مُعبّأين بفكرٍ مُخالفٍ لأهل البيت، وأدّل دليل على ذلك: مراجعنا لا يُجيدون الكلام باللغة العربية وهم يدرسون اللغة العربية لمدة ستين أو سبعين سنة، فإمّا أن المراجع هؤلاء أغبياء وهذا ليس صحيحاً، وإمّا أنهم ما درّسوا وما درّسوا وهذا ليس صحيحاً، فتأريخهم يُثبت أنهم درّسوا ودرّسوا واستمرّوا لعقودٍ من الزمان يدرّسون ويُدرّسون وما هم أغبياء، إذاً العيب أين؟ العيب في المنهج، أدل دليل على فشل مناهج الحوزة هو هذا، هذا من الوجهة العلمية.

أمّا من الوجهة العقائدية: فأدّل دليل على ذلك أجوبة المراجع الفاشلة في الجانب العقائدي، النقائص التي ينسبونها إلى أهل البيت، وهذه كتبهم وقد عرضت الكثير منها في برنامج (الكتاب الناطق)، أدل دليل على الفشل العقائدي في المؤسسة الدينية التي تخرّج علماءها ورجالها من الحوزة العلمية الدينية، فالحوزة العلمية لأبداً من تغيير مناهجها ومن وجود منظومة للتقييم، لتقييم الدارسين فيها.

الفقرة الأخرى: المؤسسات التي حدثت أخيراً والتي سُميت بالمؤسسات القرآنية، لأبْد من تغيير البوصلة فيها، هذه مؤسسات مخالفة لأهل البيت، تهتم بالقراءات، تهتم بأساليب القراءة عند المخالفين، لأبْد أن نطبق فيها منهجاً جديداً، أن نعلم قراءة واحدة وهي القراءة المشهورة في المصحف، هي قراءة عاصم بن أبي النجود المعروفة بقراءة حفص، هي هذه القراءة الموجودة في المصحف، وهي قراءة مخالفة لأهل البيت، نعتمدها لأن أهل البيت أمرونا أن نقرأ القرآن كما يقرأه الناس، وأن لا نُغالي كثيراً في مسائل التجويد ومقامات الصوت وأمثال ذلك، أن نستفيد منها بقدر معقول مناسب، وأن يكون الاهتمام بمعاني القرآن بحسب روايات أهل البيت، أن نخرج تفاسير المخالفين، وأن نخرج تفاسير علماء الشيعة، فعلماء الشيعة تفاسيرهم مخالفة لأهل البيت، وأقل مقارنة بين حديث أهل البيت وبين تفاسير مراجعنا وعلمائنا يتضح هذا الأمر، فأن نخرج هجراً كاملاً تفاسير المخالفين وتفاسير علمائنا ومراجعنا، وأن نعود إلى حديث أهل البيت وأن نُنشئ مدرسة جديدة في تفسير القرآن في ضوء حديث أهل البيت، وهذه تحتاج قطعاً إلى فترة زمنية وتحتاج كذلك إلى تقويم وتقييم باعتبار شيء جديد والشيء الجديد سيقع فيه عثرات وأخطاء، ولكن مهما كان فلا وجه للمقايضة فيما بين هذا وبين ما كتبه علمائنا ومراجعنا من تفسيرٍ مُخالفٍ لمنهج أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأبْد إذاً من تغيير البوصلة في المؤسسات القرآنية، وإلا فهي بالتجاه بعيدٍ عن إمام زمانها.

المنظومة الحسينية: الهيئات، المواكب، لأبْد من تغيير البوصلة فيها، المنظومة الحسينية الآن تتجه بالتجاه الشعائر للشعائر، مثلما موجود في الثقافة الغربية؛ الرياضة للرياضة، والفن للفن، والأدب للأدب، والآن المنظومة الحسينية تتجه إلى الخدمة للخدمة، الشعائر للشعائر، أليس الآن هو هذا الذي بدأ يظهر واضحاً في الأجواء الحسينية؟ فلا بُد أن نُوجّه المنظومة الحسينية بهذا الاتجاه: الخدمة للتمهيد، الشعائر للتمهيد، كل شيء في الجو الحسيني لتمهيد الأمر لإمام زماننا، لأبْد من تغيير البوصلة، فلا بُد من تغيير البوصلة في المؤسسات القرآنية التي تتجه الاتجاه الناصبي الواضح، ولأبْد أن نُغيّر البوصلة في المنظومة الحسينية التي تتجه بالتجاه تصنيف الشعائر وتصنيف الخدمة، هناك عملية تصنيف للشعائر وعملية تصنيف للخدمة، بينما الشعائر يُراد منها التمهيد لإمام زماننا، يُراد منها إحياء أمر إمام زماننا، المشروع الحسيني هو مُقدّمة للمشروع المهديّ الكبير، المشروع الحسيني يُمثل خزان الوقود والزيت الذي يُحرّك المشروع المهديّ، أمّا أن نُغيّر المشروع الحسيني إلى مشروع شعائريّ، والشعائر لأجل الشعائر، ويُسمّون أنفسهم بالشعائريين دون وعي، دون فهم، بحسن نية، لماذا لا تُسمّون أنفسكم بالمهديين؟ ما معنى الشعائريين؟! أن نُوظّف الشعائر للتمهيد لإمام زماننا، قولوا نحن شعائريّون نوظّف الشعائر لإمام زماننا، إذا كان الأمر

هكذا، ولكن الذي يبدو على أرض الواقع أنتم شعائريون تريدون الشعائر للشعائر، هذه خيانة، خيانة واضحة، المؤسسات القرآنية خائنة، المنظومة الحسينية خائنة، هذا هو الواقع، المطلوب من المنظومة الحسينية أن تُغيّر بوصلتها، من أن تكون الشعائر للشعائر وأن تكون الخدمة للخدمة، أن تكون الخدمة للتمهيد وإحياء أمر إمام زماننا وأن تكون الشعائر كذلك، وأن تكون البوصلة في المؤسسات القرآنية باتجاه حديث الثقلين؛ (الكتاب والعتره)، باتجاه منطق آل محمد، لا أن يكون باتجاه النواصب وباتجاه أعداء أهل البيت، والمرجعية تُباركُ كُلَّ ذلك، الغريب أي مؤسسة تُؤسس باتجاه بعيدٍ عن أهل البيت تُبادر المرجعية لمباركتها، ما سمعنا نصيحة من المرجعية أن تقول لهذه المؤسسات إلى أين أنتم ذاهبون؟! ما هذا التوغّل البعيد في الاتجاه القرآني الناصبي؟! باتجاه القراءات، باتجاه التجويد والمقامات، بهذا الشكل العميق وباتجاه تفسير القرآن بالنحو القطبي، بالنحو الطبري، بالنحو الرازي الشافعي، أليس هذه مجالس شيخنا الوائلي ومجالس الخطباء المنبريين مشحونة بالفكر القطبي وبالفكر الرازي الشافعي، هذا هو الواقع الذي نحن نعيشه.

أما المؤسسات الإعلامية الشيعية: فلا يمكن أن نسيطر عليها هذا على فرض أن هذه الرؤية تجد طريقها على أرض الواقع وكل ذلك خيالات وأحلام، المؤسسات الإعلامية الشيعية لا بُدَّ أن نُقنعها بأن يكون لها ميثاق عمل يتفق مع هذا الاتجاه، لو اشتغل الإعلام الشيعي بهذا الاتجاه، في ظرف سنتين أعتقد أن الواقع الشيعي يتغير، قناة القمر على إمكاناتها المحدودة، برنامج واحد: الكتاب الناطق، لمدة سنة، رغم كل العداء والتشويه ترك أثراً، لا أقول أنه سيغير العالم، أبداً، ولا أقول إنه سيغير الواقع الشيعي، ولكنه ترك أثراً، ترك أثراً حتى في مكاتب المراجع أنفسهم وفي بيوتهم وحتى في عوائلهم، وعندي معلومات تفصيلية في هذا الأمر، ترك أثراً في الواقع الشيعي، برنامج واحد محدود في قناة محدودة الإمكانيات مع الكثير من منع الناس عن متابعته، ومع الكثير من تشويه سمعي، ومع الكثير مما قيل وقيل، ومع أن البرنامج برنامج نُخبوي للنخبة وطويل ومُتعب ومع ذلك ترك أثراً واضحاً في الساحة الثقافية الشيعية، فما بالك لو أن القنوات الفضائية والمؤسسات الإعلامية الشيعية تتفق جميعاً وتأييد من المؤسسة الدينية أن تتوجه إلى تنقية ساحة الثقافة الشيعية من الفكر الناصبي وأن تنشر فكر أهل البيت، في سنتين يتغير الواقع الشيعي والله، والله في سنتين وأقل من ذلك يتغير الواقع الشيعي، ولكن نخاطب من؟! نتحدث مع من؟! نقول لمن؟!

كان من المناسب أن نعرض هذا الذي ضرب رأسه بالنعال، نقول لمن؟! هذا هو الواقع، أنا أقول للأخ الذي أرسل رسالته يسأل، هذا جوابٌ مقارب للذي أنت أردت، فهو قد سألني: (إذا كان الأمر بيدك)،

فليس الأمر بيدي لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل، هذه رؤيةٌ هي من عالم اليوتوبيا، ما يقولون عنه العالم الطوباوي، هذه كلمة "طوباوي" مأخوذة من كلمة يوتوبيا يعني العالم الخيالي المثالي.

أعتذر شديد الاعتذار من كلّ الذين لم أتمكن أن أجيب على رسائلهم، أتمنى أن تكون هناك فرصة وإن شاء الله تعالى في أقرب فرصةٍ ممكنةٍ إذا تهيأت الأسباب والظروف سنعود إلى المجموعة الجديدة من حلقات سؤالك على شاشة القمر، فأنا أحرصُ شديداً على هذا البرنامج لأنّه وسيلة تواصلٍ معكم، مع إخوتي وأخواتي وأبنائي وبناتي من أشياع آل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أتمنى أن أعود إليكم في خدمتكم في أقرب فرصةٍ إن شاء الله وهذا هو آخر حديثي في الحلقة الثامنة والعشرين من هذا البرنامج، وأعيد الكرة إلى ملعبك يا مُحَمَّد.

• **المقدم:** طيّب الله أنفاسكم مولاي، إذاً هذه هي الحلقة الأخيرة لبرنامج (سؤالك على شاشة القمر) من الموسم الأوّل، بعد إعلان الخاتمة لهذا البرنامج سوف يتوقّف إيميل البرنامج عن استلام الرسائل وأيضاً سوف يُلغى الرقم الوتس اب المخصّص لاستلام الأسئلة والفيديوات والتسجيلات الصوتيّة، نعتذر شديد الاعتذار عن انتهاء هذا الموسم؛ الموسم الأوّل، لكن إن شاء الله في أقرب فرصة سوف يتمّ الإعلان عن إيميل جديد أو إذا اتّضح ذلك قريباً إن شاء الله نفس الإيميل ممكن، ولكن أرقام أيضاً جديدة تظهر مع فقرات جديدة ومتنوّعة، هذا هو الجزء الثاني لهذه الحلقة الأخيرة من الموسم الأوّل أيضاً قد انتهت، ولتقيكم إن شاء الله في برامج جديدة وإن شاء الله في أقرب فرصة كما بيّن سماحة الشيخ في الموسم الثاني من هذا البرنامج على أمل اللقاء في أقرب وقت وأطيب التماني تتمناها لكم وباقية برامج قناة القمر الفضائيّة وأسعد الله أيّامكم مجدداً بميلاد إمامنا الباقر وليلة ميلاد إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه، نتركم مع فاصل الختام مع كريمة آل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم طيبة الطاهرين العلويّة السيّدة شريفة بنت الإمام الحسن وهذه الحادثة التي وقعت في صحنها المطهر، نسألکم الدعاء، في أمان الله.

* برنامج "سؤالك على شاشة القمر"، متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع زهرايون

www.zahraun.com